تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

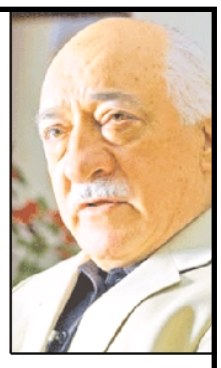

السياسة فن تدبير المجتمع وإصلاحه وترقيته

ذ. محمد فتح الله كولن ص : 6

الحمد التعبدي: تزكية للنفس وإصلاح للمجتمع

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص : 5

بسم الله الرحمن الرحيم

المحجة

البريد الإلكتروني : almahajjafes@gmail.com

■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

جامعة نصف شهرية

28 محرم الحرام 1432هـ - 03 يناير 2011م

الثمن : 3 دراهم

العدد : 350

المجلس العلمي المحلي لمكناس في ذكرى وفاء للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

ص : 10

مع كتاب الله عز وجل

قانون الأمن في القرآن الكريم

د. محمد راتب النابلسي ص : 4

قصص القرآن الكريم: أخبار وعبر

د. مصطفى فوضيل ص : 8

قضايا تربية وتعليمية

من وظائف علم أصول الفقه في التربية والإصلاح

د. الطيب الوزاني ص : 9

منظومتنا التربوية إلى أين...؟!

ذ. عبد القادر لوكيلي ص : 11

معالم المنهج التربوي في الإسلام من خلال المشاهدات الكونية

ذ. عبد الرحمن بوعلي ص : 7

فشل المناهج الوضعية وتألق منهج الإسلام

ذ. أحمد محمد المتوكل ص : 11

28 محرم 1432هـ - 03 يناير 2011 م- العدد :350

﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة﴾

فلِمَ الاختلاف والتفرق ..؟!!

كلما نظر المرء في حال الأمة المسلمة إلا ويرجع نظره إليه كليلا حسيرا لا يرى في خارطتها وحدة ولا اتفاقا، ويظهر له الأمس القريب حالكا مظلما والحاضر قاتما مؤلما، كان الأمس أمس استعمار وضعف وهوان ولكن بفعل إرادات وعزائم الأخيار تحول الهوان إلى بطولة وعزة وتحول الضعف إلى جهاد وقوة فأخرج الاستعمار ذليلا، وأطل على الأمة وعلى جنباتها وأرجائها شعاع الأمل في الحرية والاستقلال والكرامة، ولسوء الطالع فإن حال الاستقلال كان أسوأ من حال الاستعمار أو شبيها به، فعصا الأشقاء فوق رؤوس إخوانهم كانت أغلظ وأقسى، وبات ظلم ذوي القرابة أشد وأمضى، ومسلسل المذابح والمتابعات والمطاردات ومصادرة الرأي وحرية التعبير استمر بأساليب أمر وأدهى، رغم أن جميع الأحزاب والأنظمة ظل يغني بالحرية والديمقراطية كلما أصبح وأمسى، و رغم أن جماجم المقتولين وأرقام المُهَجَّرين والفارين كانت أكبر من أن تعد أو تحصى، وكان حظ المخلصين من أبناء الأمة المسلمة وعلمائها من هذا العذاب والتعذيب في مصر وسوريا والعراق ولبنان وغيرها أوفر وأوفى.

ولم نجد زعماء الدول والبلدان المسلمة إلا موالين لمعسكر الاشتراكية أو معسكر الليبرالية ولم يكونوا يتقنون في هذه المرحلة سوى بيع خيرات البلاد مقابل نوال الرضى، ولم يتقنوا إلا صوغ الخطب الرنانة والطنانة بعصر الحرية والقوة لكن فوق بطون يقتلها الجوع وعقول ينخرها الجهل ونفوس يكبح حركتها الخوف والترهيب، وبرعت أحزاب ما بعد الاستعمار في الكذب على الأمة والمشاركة في تزييف الوعي والكيد للأمة وخيانة مقوماتها وهويتها، واستجلاب كل فكر هجين ومحاربة كل أصيل متين، والارتهان بيد الأجنبي فلم يكن بإمكانك أن تميز بين مقر مصنع أو شركة أو حزب فالكل مستورد، وكل واحد منها إدارته ومهندسوه الحقيقيون في الخارج، أو مصنوعة على مقاس الأنظمة الحاكمة المقبولة من الخارج دون الداخل لذلك فإنك لم تكن تجد حزبا إلا وهمه الأكبر التنافس المحموم في سبيل الحصول على نصيب في دنيا المال والعقار وشراء الكراسي والذمم بالدرهم والدولار ولو جلب التعاسة والعار، ولم يكن له من وظيفة إلا تنفيذ ما وجد لأجله والحفاظ على حسن علاقته بالغرب لحفظ صورته وحفظ كرسيه من الضياع، وحمايته من فورة هوجاء للجياع!!

وبسقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفييتي وعجزه عن حماية نفسه بله حلفائه لم يعد للغرب حاجة بكثير من الأنظمة والحكومات لأنها حققت ما صنعت لأجله، وانتهى هذا الأمس القريب باستفاقة الجميع بأن واقعا آخر أصبح يفرض نفسه أكثر. لقد استفاق الجميع شعوبا ومؤسسات على هول الصدمة الجديدة أن الغرب لا يزال مصرا على ابتزاز الشعوب الضعيفة وسلبها خيراتها وتمزيق أوصالها وإهانتها الإهانة المقيتة ومساومة حكامها بتسليمه مقدرات البلدان وعلمائها مقابل المحافظة على الكراسي و مناصب الحكم، وأصبح سيف الديمقراطية وحقوق الإنسان يشهر في وجه هذه الحكومات وبدأ النبش في قبور الموتى والضحايا وإخراجها وتفزيع الحكام وترهيب الحكومات بانتهاك حقوق الإنسان وفضح جرائم العهد السابق التي دُفِعوا لارتكابها حفاظا على مصلحة الغرب وخيانة للدين والبلد وغدرا بالإخوة وفتكا بالمخالفين!!

ومضى العقد الأخير من القرن العشرين على وقع رسم معالم خريطة العالم الإسلامي وبدأ الأمر بالعراق وأفغانستان ولبنان وفلسطين والسودان، وانتهى هذا العقد بتدبير سياسي عالمي استقوت فيه الولايات المتحدة على حلفائها (دول الحلف الأطلسي) وخصومها على حد سواء وأصبح واقعنا بعد شتنبر 2001 واقع التهديد بالفناء الشامل والمحو من على الخريطة والواقع ولم تكن تسمع خلال العشر سنوات السابقة إلا لغة الغزو المسلح والمحو المحقق في وحشية لم يعرف لها التاريخ نظيرا إلا في حروب الغرب على الأمم والشعوب الضعيفة فدك العراق وانتهكت حرماته وأبيدت حضارته وسلمت ثرواته للغزاة وانتهى عصر صدام دون أن ينتهي عصر الديكتاتورية والصِّدام، وهزمت طالبان والقاعدة في أول أمرها وقتل الأفغان وجوعوا وجرجروا بالسلاسل والأغلال في سبيل القضاء على الإرهاب وما زاد الإرهاب إلا انتشارا لأن عوامله لا تزال موجودة ما وجد الاحتلال والغصب والظلم والإرهاب الدولي الأكبر.

ولم يكد العقد الأول ينتهي حتى ظهرت للغرب سوأته وانكشف تحيزه للكيان الصهيوني في المحرقة التي ارتكبها في غزة الأبية وانكشفت هزيمته لمن لم يكن موقنا بها في العراق وأفغانستان.

لكن متى يلتئم المسلمون ويأتلفوا في وحدة تجمع كلمتهم وتنقذهم من ذل التبعية وهوانهم على عدوهم، فهزيمة الغرب لا تثنيه اليوم عن المضي في تدبير مسلسلات التدمير والتمزيق والتفرقة!!؟

وها هو الغرب الذي يرفع رايات حقوق الإنسان والحريات العامة يسقطها بيده وهو يبارك تزوير الانتخابات التي يمكن أن يفوز فيها الإسلاميون ويغض الطرف عن استدامة حكم الحكام الذين يعتبرهم أصدقاءه وحلفاءه ولم يجد أحسن منهم في رعاية مصالحه!!

وهاهو الغرب الذي يدعو إلى محاربة الأنظمة العسكرية وعدم الاعتراف بشرعيتها يتخذها صديقا له في سبيل التمكين لمصالحه والقضاء على من يعتبرهم خصومه الحقيقيين وخاصة الإسلاميين ويسكت عن جرائم الكيان الصهيوني وتهديده النووي في المنطقة.

لقد طالت نكبات هذه الأمة وليس أمسها أشد حلكة وظلمة من يومها ولكنها مرحلة المخاض ولابد في المخاض من عسر وآلام، ولكن على الأمة أن تتعلم من أخطائها التي أوقعتها في يد أعدائها وليس أقسى على هذه الأمة من داء الفرقة وآلام الاختصام والاحتراب بين الإخوة: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾(الأنفال :46)، وعلى المسلمين اليوم

تتمة : ص 13

حلاوة الاقتناع بالدين (3)

ج- ثمامة بْنُ أَثَال :

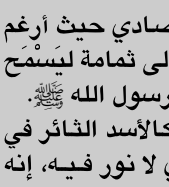

ذ. المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

"واللَّه مَا كانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ من وَجْهِكَ، فَقَد أصبحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ. وواللَّه مَا كَانَ من دِينٍ أبغض إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ"

خرج ثُمامَةُ -رجل من بني حنيفة- من أرض اليمامة موليا وجهه شطر مكة المكرمة يريد الطواف حول الكعبة، والذبح لأصنامها، وإذا بالنبي ﷺ يُرسِلُ سَرِيَّةً إلى أرض نجد فيأتُوا به أسيرا. فربطوه بسارية من سواري مسجد الرسول ﷺ.

فخرج النبي ﷺ فقال : "ماذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟"

قال ثمامة : عندي خيرٌ، إن تقْتُلْني تقتُلْ ذا دَمٍ(1)، وإن تُنعِمْ على شاكرٍ، وإن كنتَ تُريدُ المال فَسَلْ منْهُ ما شِئْتَ فتركَه حتى كان الغد.

ثم قال له : "ماعِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟"

قال ثمامة : قَد قُلتُ لك : "إنْ تَقْتُلْ تقْتُلْ ذَا دَمٍ، ... وإن تُنعم تُنعم على شاكر..."

فتركه حتى كا ن اليوم الثالث، فقال له : "ما عندك يا ثمامة"

فقال ثمامة : "عِنْدي ما قُلتُ لَك"

فقال ﷺ : "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ"

فانطلق إلى نَخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال "أَشْهَدُ أنْ لاَإِلَهَ إلاَّ الله وأشهدُ أن محمدا رسول الله، يا محمدُ، والله ما كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ من وَجْهك، فقد أصبحَ وجْهُك أحَبَّ الوجوهِ إليَّ، والله ما كان من دين أبغضَ إِلَيَّ من دينك، فاصبحَ دينُك أحبَّ الدين إِلَيَّ، والله ما كان من بلد أبغَضَ إِلَيَّ من بَلَدِكَ، فأَصْبَحَ بلَدُكَ أحَبَّ البلادِ إِلَيَّ. وإنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟".

فبشره رسول الله ﷺ وأَمَره أن يعتمر.

وفي رواية : فاغتسل وصلى ركعتين، فقال ﷺ "لَقَدْ حَسُنَ إِسْلاَمُ صَاحِبِكُمْ"(2).

فلَمَا قدم مكة ـ معتمرا بإذن رسول الله ﷺ ـ قال له قائل : صَبَوْتَ؟ قال :لا والله، ولكني اسلمتُ مع محمد رسول الله ﷺ. ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطَة -قمح- حتى يأذن فيها النبي ﷺ(3).

جاهَدَ ثمامة جهادا محمودا، وخصوصا في الجهاد الاقتصادي حيث أرغم قريشا أن يكتبوا لرسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتُبَ إلى ثمامة ليَسْمَح لهم بحَمْل تجارة الطعام من بلده إلى بلدهم، وإلا هلكوا، ففعل رسول الله ﷺ.

وعندما ارتدَّتْ بنو حنيفة واتبعوا مسيلمة الكذاب وقف كالأسد الثائر في وجه هذا الكذاب وقال لقومه : "إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه، إنه والله لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به".

"إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمدا رسول الله لا نبي بعده، ولا نبي يُشْرك معه" ثم قال : ﴿حم تَنْزِيلُ الكتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيد الْعِقَاب ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْه المَصِيرُ﴾(غافر: 1- 3)

أين كلام الله هذا من قول مسيلمة : "يَا ضِفْدَعُ نَقِّي مَا تُنَقِّينَ، لا الشَّرَابَ تَمْنَعِينَ، وَلاَ المَاءَ تُكَدِّرِينَ"(4).

وهكذا ظل ثابتا مجاهدا حتى لقي ربه راضيا عن دينه مرضيا عند ربه عز وجل لأنه دخل الإسلام مقتنعا فمات مطمئنا خالدا بين العباد الصالحين. يَرُدُّ بسلوكه وجهاده وحبه لدينه على من يقول : إن الإسلام انتشر بالسيف(5).

1- تقتل ذادم : أي إذا قتلتني فعندي عشيرة وأتباع سيأخذون بدمي.

2- حسُن إسلام صاحبكم : لأن الصلاة هي دليل إحسان الإسلام، ولربما كانت الصلاة هي التي رغبته في الإسلام، فهو في خلال الثلاثة أيام كان يشاهد كيف يصلي المسلمون صفوفا متراصة قانتين وراء إمام المرسلين القانت،فتلقى درسا عمليا في السكون لله تعالى، والانضباط للعبادة الرابطة بين العبد وربه، بالاضافة إلى حُسن معاملة الرسول ﷺ والمسلمين له، إذ لم يهينوه، ولا جرحوا كبرياءه، ولا أرغموه على شيء.

3- لقد عرف ثمامة قديما قيمة الاقتصاد في إرغام الكفر على إحناء الرأس، ولقد جرب العرب أثر قطع البترول عن الأعداء في سنة 1973، ولكنهم مع الأسف لم يستخدموا سلاحه بعد ذلك لتمزق شملهم، روى حديث المقاطعة البخاري ومسلم، أي أن سلاح المقاطعة معروف عند المسلمين، ولكن لاحياة لمن تنادي.

4- انظر أصحاب الرسول ﷺ لمحمود المصري 2/86- 89، وانظر البخاري كتاب المغازي، ومسلم كتاب الجهاد والسير.

5- إن فَنَّ صناعة الحدث بطريق مباشر لاستثماره في الدعاية أو تحقيق غرض ما، أو الأمْرَ بتصنيع حَدَث لتحقيق أهداف قريبة المدى أو بعيدة المدى شيء معمولٌ به عند المخططين الكبار للسياسة العالمية، فهم يعتمدون تصنيع عملاء لإخراجهم في الوقت المناسب لإسقاط نظام مغضوب عليه، وقد يشعلون حرباً محدودة أو اقليمية أو عالمية للوصول إلى ما يريدون، وقد يغتالون أشخاصا..

وهناك فَنٌّ آخر وهو التدخُّل في أحداث الآخرين لتحويلها عن اتجاهها وجَعْلها تخدُم مصلحة المُتَدَخِّل فيها، وهذا ما ينبغي أن يفهمه الدّعاة، بحيث يتعلمون كيف يستثمرون الأحداث التي يصنعُها غيرهم لتسخيرها لمصلحة الدّعوة والإسلام.

وفي قصة ثمامة كان استثمار الحدث على الشكل التالي :

1) سؤاله عَمَّا عنده لمعرفة مستوى آفاقه الفكرية والطموحية واستكشاف معدنه وفطرته «ماذا عندك يا ثمامة؟!» وتكرر السؤال نفسه، وتكرر الجواب نفسه، وأبرز ما في الجواب هو «إن تُنعِمْ تُنْعِم على شاكِرٍ» جواب يدل على أن هذا الرجل من الطّينة التي تعرف لأصحاب الفضل فضلهم، فهو وإن لم يُسْلِم فسوف يحفظ هذه المنَّة.

2) وفُرِتْ له فرصة الاطلاع على عبادة المسلمين وخصوصا الإقبال على الصلاة بخشوع.

3) وفُرِتْ له فرصة الاطلاع على قيادة فريدة، وعلى التعامل مع هذه القيادة بأدب وهيبة ومحبة واحترام وكرامة.

4) وفُرِت فرصة معرفة إكرام الأسرى في شخصه، من إطعام، وعدم إهانة أو تجريح أو إهانة، بل الكل يغمرُه بالإحسان والأدب الرفيع.

5) وفُرِت له فرصة الاطلاع على هدف الرسول ﷺ والمسلمين، فهم ليسوا أصحاب دنيا، وليسوا طلاب حُكم أو مُلك، خصوصاً وأنه رأى الرسول ﷺ يزهد تمام الزّهد فيما يعرضه عليه من الأموال، لم يفاتِحْه في القدر الذي ينبغي أن يُدفع.. فالمال مُعرضٌ عنه، مزهود فيه، وهذا بحَدِّ ذاته عظَّم قدْرَ الرسول والدين والمسلمين في عينيْه.

إنها دروس كثيرة ينبغي أن تُفقَه لتبليغ الرسالة بالعمل المؤثِّر في الوقت المناسب لإقناع الناس بأن هذا الدين خيرٌ له، ومن حرم هذا الخير حرم كلَّ شيء.

لزيادة التعمق والتفقه انظر مقال (صناعة الحدث) لمحمد بن شاكر الشريف في قضايا دعوية، بمجلة البيان عدد 210 أبريل 2005.

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

"العربية" أسرع اللغات الأجنبية انتشارا في الولايات المتحدة

من واقع بيانات الطلاب في 2514 جامعة وكلية، أظهرت دراسة أمريكية أن العربية هي أسرع اللغات الأجنبية انتشاراً بين الدارسين بالولايات المتحدة خلال العام الماضي، وأن عدد المسجلين لدراستها تزايد بنسبة 46٪ مقارنة بالمسجلين عام 2006م. وأوضحت أن عدد المسجلين لدراسة العربية تزايد من 5500 عام 1998م إلى نحو 11 ألف عام 2002م، لكن العدد قفز إلى 35 ألفا العام الحالي.

وطبقا للدراسة التي تجريها "رابطة اللغات الحديثة" منذ عام 1957م، والتي أجرتها 22 مرة منذ ذلك التاريخ فقد هبطت اللاتينية والروسية إلى المرتبة الثامنة في قائمة اللغات التي يتم الإقبال على دراستها بالجامعات الأمريكية.

فصل معلمة فرنسية بسبب تمسكها بالحجاب

أعلنت إدارة التعليم في مقاطعة تولوز جنوبي غرب فرنسا، فصل معلمة فرنسية محجبة من التدريس بإحدى المدارس الابتدائية في الإقليم، وقد انتقد "الائتلاف الفرنسي لمناهضة كراهية الإسلام" هذا القرار، وقال : إن الإدارة الفرنسية تسخر القانون المحلي لإلحاق الأذى بالمسلمين، وعللت الإدارة قرارها بأن ارتداء الحجاب مناقض لقواعد العلمانية ويمثل انتهاكا لمبدأ الحياد الديني الذي يتعين على العاملين في المرافق العامة احترامه أثناء أداء وظائفهم... وكانت المعلمة قد استفادت من عطلة طويلة اعتنقت خلالها الإسلام وهو ما قادها إلى الحضور محجبة إلى مدرستها عند افتتاح السنة الدراسية الجارية.

● المجتمع ع 1931

تأسيس شركة عالمية لإدارة السيولة وفقا للشريعة الإسلامية

أعلن مجلس الخدمات المالية الإسلامية عن تأسيس شركة عالمية لإدارة السيولة وفقا للشريعة الإسلامية، لإصدار أدوات تتفق مع الشريعة، بفرض مساعدة البنوك الإسلامية على إدارة الأخطار التي تواجهها، والتشجيع على المزيد من الاستثمارات العالمية، ويُعد نقص أدوات السيولة أحد التحديات الرئيسية التي تواجه صناعة التمويل الإسلامي الناشئة، إذ يعد النطاق المحدود من المنتجات التي يمكن للبنوك الإسلامية أن تستثمر فيها ضمن أشياء أخرى من قدرات هذه البنوك.

وذكر المجلس أن "الشركة الجددة ستقدم أدوات سيولة قصيرة الأجل وتتفق مع الشريعة من شأنها أن تشجع بصورة أكبر القدرات التنافسية والمرونة التي تتحلى بها المؤسسات التي تقدم خدمات التمويل الإسلامي على المستوى العالمي".

تجدر الإشارة إلى أن "مجلس الخدمات المالية الإسلامية، يتخذ من العاصمة الماليزية "كولالمبور" مقرا له ويحدد معايير الحوكمة الإسلامية وكفاية رأس المال وإدارة الأخطار لصناعة الت مويل الإسلامي التي تقدر بنحو ترليون دولار.. ومن بين أعضائه مؤسسات مثل : البنك الآسيوي للتنمية وصندوق النقد الدولي، وبنوك مثل : بيت التمويل الكويتي، ومصرف الشارقة الإسلامي.

إيطاليا : الجاليات الإسلامية تعتزم إطلاق أول قناة تلفزيونية

يعتزم اتحاد الجاليات الإسلامية في إيطاليا إطلاق أول قناة تلفزيونية إسلامية إيطالية قريبا، تهدف لمتابعة أخبار الجالية وأنشطة المراكز الإسلامية المختلفة في جميع أنحاء البلاد.

ونقلت وكالة الأنباء الإيطالية عن المسؤول الإعلامي في الاتحاد قوله : «إن اتحاد الجاليات حدد بالفعل استوديو البث في روما، وما زال يُجري بعض الدراسات لمعرفة تكاليف البث والموظفين.

وأضاف : إن الاتحاد قرر الاعتماد على الصحافة المرئية لأن المكتوبة تم تجاوزها، خاصة أن كثيراً من أفراد الجالية الإسلامية هم من المهاجرين الذين لا يقرؤون الإيطالية جيداً.

وأوضح ريكاردو أن القناة ستعتمد في تغطيتها على مراسلين في أنحاء إيطاليا، علاوة على استضافة كبار الشخصيات للتعليق على الأحداث، مشيرا إلى أن إطلاق قناة "عمل ليس سهلا".

تركيا : التعليم العالي يحظر طرد أي طالبة محجبة من الجامعات

أصدر مجلس التعليم العالي في تركيا تعميما على جامعات البلاد، يحظر بموجبه طرد أي طالبة من قاعة المحاضرات بسبب ارتدائها الحجاب، ويحذر الأساتذة من تعرضهم للمساءلة إذا ما فعلوا ذلك ويأتي هذا التعميم بعد شكوى تقدمت بها طالبة محجبة طردها أستاذها من المحاضرة في كلية الطب بجامعة إسطنبول بسبب ارتدائها الحجاب. وقوبل التعميم بمعارضة حزب "الشعب الجمهوري" الذي اعتبره منافيا للدستور وقد التزمت بعض الجامعات بتطبيقه وامتنعت جامعات أخرى بحجة مخالفته لنص الدستور.

واقترحت الحكومة تعديلاً للدستور لفض هذا الإشكال، وإصدار قوانين جديدة تسمح للمحجبات بالدراسة على غرار باقي التركيات، وهو ما قبله حزب الشعب الجمهوري، لكنه اشترط حل مجلس التعليم الحالي الذي قال : إنه موال للحكومة.

يذكر أن الدستور التركي يمنع الطالبات المحجبات من دخول المؤسسات التعليمية بكافة مراحلها، بدعوى أن ذلك مناف للعلمانية، لكن الدستور نفسه ينص على عدم حرمان أي إنسان من حق التعليم، وهو ما استند إليه المجلس في إصدار هذا التعميم.

صحفي أمريكي : واشنطن ترعى مخططاً صهيونيا للاستيطان بالعراق

كشف الصحفي الأمريكي "وين ماديسن" عن مخطط صهيوني للاستيطان في العراق، مشيراً إلى أن الكيان الصهيوني يطمح في السيطرة على أجزاء من العراق تحقيقا لحلم ما يسمى بـ"إسرائيل الكبرى"، وتضمن التقرير الذي نشره الصحفي على موقعه الذي يحمل اسمه، معلومات لم تُنشر سابقا حول مخطط نقل اليهود الأكراد من الكيان الصهيوني إلى الموصل ومحافظة "نينوى" تحت ستار زيارة البعثات الدينية والمزارات اليهودية القديمة. وأوضح التقرير أن "اليهود الأكراد بدؤوا منذ الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م بشراء الأراضي في المنطقة وأن فرق جهاز "الموساد" الصهيوني قد شنت مع مجموعات من المرتزقة هجمات على النصارى الكلدانيين العراقيين في كل من الموصل وأربيل والحمدانية... وغيرها بغية تهجيرهم بالقوة".

واتهم "ماديسن" الإدارة الأمريكية برعاية هذا المخطط الذي يقوم على تنفيذه ضباط من "الموساد" بعلم ومباركة الحزبين الكرديين الكبيرين "الاتحاد الوطني" بزعامة جلال طالباني و"الحزب الديمقراطي" بزعامة مسعود بارزاني.

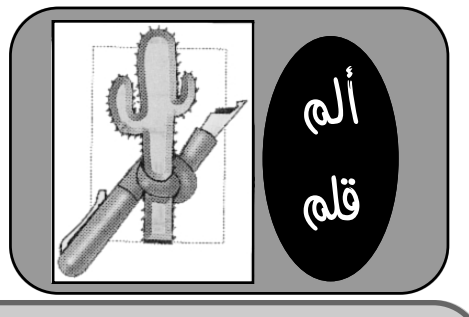

الحاج والحاجة

عودة الحجاج الكرام من أداء مناسكهم فرصة للحديث عن رحلتهم وعن المناسك المفروضة المباركة التي أدوها وكيف أدوها، وعما قضوه من أيام لا كسائر الأيام، وفي أماكن ليست كباقي الأماكن، خاصة وأن الكُتاب والشعراء والمادحين ألفوا منذ القديم أن يخلدوا هذه الذكرى فيما يكتبونه، فضلا عن فرح الأهل والأحباب بعودة حجاجهم، وتشوقهم إلى ما سيحكيه هؤلاء الحجاج عن رحلتهم المباركة الميمونة . لكن وإن كانت هذه العودة بهذه المكانة فإن حديثي في هذا الركن المختصر هذه المرة عن هذا اللقب الذي شاع وانتشر، حتى صار يطلق على كل شخص حج أو لم يحج، يصلي أو لا يصلي، فقط يكفي أن تكون هيئته توحي بشيء من التدين، أو سنُّه يشير إلى شيء من الكبر، حتى يستحق هذا اللقب بالتمام والكمال. وأكثر من هذا أن يطلق هذا اللقب على الوالدين، فعوض أن ينادي الابن (أو البنت) والدته أو والده ب(أبي) أو (أمي) يناديهما ب (الحاج) أو (الحاجة)، وهذا -في تقديري- أغرب ما يمكن أن يسمعه الشخص في بيئتنا المغربية المتشبعة بالثقافة الإسلامية والأعراف التي تقدر الوالدين حق قدرهما.

إن نداء الوالدين بلقب (الحاج أو الحاجة) -حجّا أو لم يحجّا- يفقدانهم أهم خصوصية لطعم الوالدين، وهي الأمومة والأبوة، ويجعلهما -وهما في بيتهما- مثل سائر الناس خارج البيت، فإذا نوديا وهما في البيت بنفس اللقب الذي ينادى به سائر الناس خارج البيت، فأين تبدو خصوصية الأبوة والأمومة.

حدثني صديق لي قال: بعد أن حجت الوالدة أصبحت أناديها بالحاجة، ولم يكن يخطر على بالي أن هذا النداء يسيء أو يقدح في كرامتها أو مكانتها. ولم تمض إلا أيام معدودة حتى قال لي أبي: لا تناد أمك بهذا اللقب، إنها تحب أن تناديها ب "أمي" فهي لا تشعر بنعمة الأمومة إلا بهذا النداء، ولا تشعر بأنها أنتجت شيئا في الحياة إلا إذا كان هناك من يناديها ب "أمي" اعترافا بحقها وفضلها... وفهم الصديق أن أمه هي التي رفعت شكواها لأبيه بعد أن أحست أن أحد أركان وجودها في البيت قد انقض بلقب "الحاجة" عوض "أمي".

"أمي" "أبي" ما أحلى هاتين الكلمتين وما أغلاهما، ولو كان لفظ أغلى وأحلى منهما وأحسن لاستعمله الرسول ﷺ ردا على من سأله من أحق الناس بصحابته؟ فقال له ﷺ : «أمك» (ثلاث مرات)، قال: ثم أبوك.

إن من كرم الصحبة ومن لوازمها وتمامها أن ينادى الصاحب بأحب الأسماء إليه، وما أظن أن الوالدين يبغيان بدلا عما يثبت أبوتهما مهما كان الحال.

وإنه لمن الطرائف أن نجد مكونات لفظي "الأم" و"الأب" الصوتية ترددان في معظم اللغات، ومن يدري ربما في جميع اللغات، وخاصة لفظة الأم، وما ذلك إلا لخصوصية نهمة الأبوة والأمومة.

وربما يكون أقبح من (الحاج والحاجة) أن ينادى الأب ب "الشيباني" والأم ب "الشيبانية" وكأن مهمة هذين الشخصين قد انتهت بتقدم العمر، ولا ينتظر منهما إلا الرحيل.

رحم الله عمر بن الخطاب ورضي عنه حينما سأله شخص وهو يحمل والدته في الطواف ويطوف بها في الحر: هل تراني أديت حقها؟ فقال له: "لا، ولو بطلقة واحدة". أي لم تؤد ولو واجبا واحدا من واجبات آلام الوضع فقط، فكيف بالأمور الأخرى؟!.. وقال مرة أخرى، هو أو غيره، في مقام مماثل: "لا، لأنك حينما كنت صغيرا كانت تتمنى لك البقاء، وأنت الآن تتمنى لها الفناء".

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 7

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون الأمن

أعده للنشر ذ. عبد المجيد بالبصير

لأمن للمؤمن التقي خاصة دون غيره

...لا زلنا في قوانين القرآن، والقانون اليوم قانون الأمن، ولكن بادئ ذي بدء، لقد أودع الله في الإنسان حاجة إلى الطعام والشراب حفاظا على وجوده، وأودع في الإنسان حاجة إلى الجنس، أو إلى الطرف الآخر، حفاظا على بقاء النوع، وأودع في الإنسان حاجة ثالثة إلى تأكيد الذات حفاظا على بقاء الذكر، ولكن الحاجة إلى الطعام والشراب مقترنة بالحاجة إلى الأمن،فأنت في خوف الفقر في فقر، وأنت في خوف المرض في مرض، وتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، لذلك حينما امتن الله على عباده بأعظم نعمتين ذكرهما في القرآن الكريم قال ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾(قريش : 4- 5). وأحيانا يعاقب الله المنحرفين والذين طغوا وبغوا بعقابين شديدين، إنه يسلب منهم نعمة الأمن ونعمة الشبع. قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾(النحل : 114) إذن هناك حاجة أساسية إلى الطعام والشراب وإلى الأمن، ولكن قد لا يخطر في بال الإخوة الكرام أن نعمة الأمن يتميز بها المؤمن وحده، وليس أحدا غير المؤمن قال تعالى "فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾(الأنعام : 82) أي الفريقين؟ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾(الأنعام : 83).

من خلال هذه الآية يتضح أن قانون الأمن أساسه الإيمان بالله، الإيمان الذي يحمل على طاعته، والإيمان الذي يمنعك أن تؤذي مخلوقا، وشيء آخر ألا يقع في ظلم لمن حوله، لذلك سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام جاء في القرآن على لسانه ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾(مريم : 30) فنعمة الأمن ثمنها إيمان يحمل صاحبه على الاستقامة، والشيء الآخر أن يبتعد عن إيذاء أي مخلوق ظلما وعدوانا.

سر السعادة بالأمن في الافتقار العبادي والتقرب الريادي إلى الله

ولكن حينما يقول الله عز وجل ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾(المعارج : 19) يعني أصل خلقه في نقطة ضعف... هناك نقطة ضعف في أصل خلقه، هذه النقطة في الأصل لصالحه... ومعنى هلوع جاء التفسير بعدها ﴿إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين﴾(المعارج : 20- 22) فهذا الخوف وهذا الهلع وهذا الحرص على ما في يد الإنسان علاجه الاتصال بالله عز وجل... فالمصلون مستثنون من هذا الحكم، لكن كما ورد في بعض الآثار القدسية "ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب كل ذلك لي، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأوضأ عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهلة له حلما والظلمة نورا يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه ويقسم علي فأبره أكلؤه بقربي وأستحفظه ملائكتي مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها".

...حقيقة دقيقة جدا هي أن الله لو خلق الإنسان قويا لاستغنى بقوته فشقي باستغنائه، خلقه ضعيفا ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره، هي حكمة بالغة، بل إن هذا الخوف والهلع الذي ركب في أصل خلق الإنسان هو لصالحه تماما كنقطة ضعيفة في سير التيار الكهربائي في الآلة تسمى اليوم بـ"الفيوز" هذه النقطة الضعيفة لصالح الآلة، لو جاء تيار شديد، هذه الوصلة الضعيفة تسيح فينقطع التيار ونصون بها هذه الآلة. إذن خصائص الإنسان أنه هلوع وأنه عجول وأنه ضعيف.

منميات الأمن ومقوياته

التوحيد يطرد الخوف من نفس الإنسان قال تعالى : ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾(الشعراء : 213) يعني أحد أكبر أسباب العذاب أن تدعو مع الله إلها آخر...فالتوحيد يطرد الخوف من قلب الإنسان، المؤمن حينما يتصل بالله عز وجل يرى أن الأمر كله بيده، هو الرافع هو الخافض، هو المعز هو المذل، هو المعطي هو المانع، هو الذي يعطي ما يتمناه الإنسان، هو الذي يصرف السوء عن الإنسان، هذه المعاني التوحيدية تطرد الخوف من نفس الإنسان، وحاجة الإنسان إلى الأمن حاجة ثابتة.

...لو قرأنا قوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾(فصلت :29) آية رائعة قد لا ننتبه لدقة معانيها "ألا تخافوا" يعني في المستقبل "ولا تحزنوا" على الماضي، فكأن هذه الآية غطت الماضي والمستقبل.

هناك آية أخرى ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(البقرة :37) لو جمعنا الآيتين، الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله، ولا تشقى نفسه،ولا يندم على ما فات، ولا يخشى مما هو آت. يعني الله عز وجل حينما يقول ﴿أقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾(العنكبوت : 45) قال بعضهم: ذكر الله أكبر ما في الصلاة، لكن بعض العلماء يقول: ذكر الله لك أكبر من ذكرك له، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية تجاهه، لكنه إن ذكرك منحك نعمة الأمن، أكبر عطاء إلهي أن تتمتع بالأمن، وفرق دقيق بين السلامة والأمن، السلامة ألا يحصل مكروه، لكن الأمن ألا تتوقع هذا المكروه، حالة ينعم بها المؤمن، وفي نفس المؤمن من الأمن ما لو وزع على أهل بلد لكفاهم، ثمن الأمن أن تؤمن بالله الإيمان الذي يحملك على طاعته، وألا تظلم مخلوقا، عندئذ تتميز وتنفرد بهذه النعمة التي عزت على معظم الناس ألا وهي نعمة الأمن. وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى...

مواقف وأحوال

حين يخاف الملوك على الإسلام؟

هل سمعتم أيها السادة عن ملك لم ينشف له لِبَدٌ من الجهاد؟

وهل قرأتم عن ملك كان يتعرض للشهادة ويسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير؟

هل تذكرون ملكا عظيما لم تسمع منه كلمة فحش قط لا في حضر ولا سفر، ولا في رضَى ولا غضب؟

ليس ذلك فحسب، ولكنه ملك كان يأكل من عمل يده، ينسج تارة، ويعمل أغلافا تارة أخرى ويلبس الصوف ويلازم السجادة والمصحف؟

لقد كان هذا الملك أيها السادة فقيرا عن زهد لا عن حاجة، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلى نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا. إنه الملك العظيم نو ر الدين محمود الذي يقول فيه ابن الأثير : لم يكن من ملوك الإسلام بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين، ولا أكثر تحريا للعدل والإنصاف منه، وكانت له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم فكان يقتات منها.. واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئا ولو مات جوعا»(1).

لا أسترسل في ذكر مناقب هذا الملك العادل، وأحوال هذا الرجل الصالح، ولكني أذكر له الآن حالا يستوقفني طويلا كلما قرأت سيرته، فقد نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء(2) عن سبط الجوزي قال «حكى لي نجم الدين ابن سلام عن والده أن الفرنج لما نزلت على دمياط، مازال نور الدين عشرين يوما يصوم ولا يفطر إلا على الماء حتى ضعف وكاد يتلف، وكان مهيبا ما يجسر أحد يخاطبه في ذلك، فقال إمامه يحيى إنه رأى النبي ﷺ في النوم يقول : يا يحيى بشر نور الدين برحيل الفرنج عن دمياط، فقلت يا رسول الله، ربما لا يصدقني، فقال قل له بعلامة يوم حارم، وانتبه يحيى، فلما صلى نور الدين الصبح، وشرع يدعوها به يحيى، فقال له : يا يحيى تحدثني أو أحدثك، فارتعد يحيى وخرس، فقال أنا أحدثك : رأيت النبي ﷺ هذه الليلة وقال لك كذا وكذا، قال نعم، فبالله يا مولانا ما معنى قوله : بعلامة يوم حارم؟ فقال : لما التقينا العدو خفت على الإسلام فانفردت ونزلت ومرغت وجهي على التراب، وقلت يا سيدي، من محمود في البَيْن؟ الدين دينك، والجند جندك، وهذا اليوم أفعل ما يليق بكرمك، قال فنصرنا الله عليهم.

تأملوا أيها السادة حال هذا الملك في هذا الموقف العصيب، يعد العدة كاملة، ويشرع هو في الصوم، وحين جد الجد انفرد بنفسه، ومرغ وجهه في التراب وبكى على ربه، خوفا على الإسلام، وليس حفاظا على عرشه.. رحمك الله يا نور الدين، وجمعنا بك في جنات الفردوس، آ مين.

1- انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، والبداية والنهاية لابن كثير.
2- نفسه.

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

إصدارات

صدر للدكتور عبد القادر محجوبي كتاب جديد تحت عنوان "مفهوم الأمانة في القرآن الكريم والحديث الشريف" عن دار ابن حزم في 431 صفحة. والكتاب دراسة مصطلحية في مفهوم الأمانة بقصد تتبع استعمالات هذا المفهوم في القرآن الكريم واستجلاء أهم الدلالات القرآنية والنبوية لهذا المفهوم وهو بهذا الاعتبار بحث في المصطلحات الشرعية ودلالاتها من مصادرها الشرعية قبل أن تحمل الدلالات الاصطلاحية بتطور العلوم الشرعية ولذلك اعتبر الناشر الكتاب "إسهاماً في استجلاء معاني ألفاظ القرآن الكريم والاعتناء بمفاهيمه، وإن أصول هذا البحث وفقراته تتمحور حول الكشف عن مفهوم الأمانة في القرآن الكريم والسنة الشريفة".

قسيمة الاشتراك

الإسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الإشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية. ■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: **2111113412900014**

أما قسيمة الإشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات فاس - المغرب

تناول الأستاذ المرحوم في الحلقات السابقة مفهوم الحمد التعبدي ومقتضياته وتجلياته، وبيّن أنه أساس العبادة وفي هذه الحلقة يواصل حديثه عن الحمد وأهميته في إصلاح النفس وتزكيتها إذا قام على شروطه وانطلق من أسس الشرع، وقام على العلم بالله والإخلاص له

مفهوم الحمد التعبدي

3- الحمد التعبدي إصلاح وتزكية للنفس والمجتمع

د. فريد الأنصاري
رحمه الله تعالى

الحمد أعلى درجات العبودية

فالحمد إذن يدل على العبودية الاختيارية، وهى أرفع درجات العبودية، يعنى أن العبد يكون في أفضل حال عندما يختار أن يشكر الله ويثني عليه، فيكون عابدا لله اختيارا، وهذا ما يحبه ربنا منا: يريد منا سبحانه وتعالى أن نقرر عبادته ونختارها، أما العبودية القهرية فهي دون اختيار، هل تستطيع أن توقف جريان الدم في شراييك وعروقك؟ طبعا لا، هذه عبودية قهرية، هل تستطيع أن تغير لون جلدك؟ هل تستطيع أن تغير من عمرك؟ هل تستطيع أن تغير من تاريخ ولادتك وسنة وفاتك؟ فنحن عباد لله وعبيد له قهرا بهذا المعنى. ولذلك فربنا عز وجل يريد أن يقول لنا أن هذه العبودية القهرية يستوي فيها المسلم والكافر، وهو يريد منا العبودية الاختيارية ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينْ﴾(فصلت 10)، فحينما تختار أن تعبدَ الله بهذا المعنى فأنت حامد لله، لا يمكنك أن تكون حامدا وأنت لا تعرف ربك، لا تعرفه بمعنى أنك لا تشعر بهذه المعاني، وهناك فرق كبير بين القول والمعرفة، بين أنك تقول الشيء وتعتقده ذهنا وبين أنك تعرفه، فلكي نحمد الله حق الحمد نحتاج إلى معرفته، ومعرة الله لا تحصل إلا بالتقرب منه ومعرفة نعمه و أفضاله ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(العلق 20)؛وفي الحديث: «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضه عليه»(9)؛ إلى آخر معاني القرب، فحينما تقترب من ربك وجدانا فإنك تعرفه، وبقدر قربك منه جل وعلا بقدر معرفتك، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فحين تعرفه سبحانه وتعالى ستجد حينئذ أنك تحمده حقا وصدقا، وتجد اللذة في حمده وفى الثناء عليه وشكره.

الحمد التعبدي في أدعية الرسول ﷺ

كلما خطب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الناس قال: إن الحمد لله، هذه هي الكلمة الأولى التي كان يبدأ بها ﷺ «إن الحمد لله نحمده»(10) ثم يؤسس عليها المعاني الآتية «ونستعينه ونستغفره..» إلى آخر ما هو معروف في خطبة الحاجة، وكثير من أعمال النبي ﷺ تبدأ بالحمد لفظا أو معنى أو هما معا، صلوات سيدنا محمد ﷺ تُبتدأ بدعاء الاستفتاح، ومداره على الحمد، وحينما يرفع من الركوع، يحمد الله عز وجل ويفصل ويستطرد في الثناء عليه «ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد»(11) هذه من عبارات الحمد العجيبة، يعنى: أنت يا رب سبحانك جدير وحقيق أن تحمد، لأن صفاتك وأفعالك سبحانك تستحق أن تحمد "أهل الثناء والمجد" إلى آخر الحديث. وفي دعاء الحاجة أوصى النبي ﷺ صاحب الحاجة أن يصلي ركعتين، ويقول في نهاية الركعتين: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم ،الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك...»(12) فجاء الدعاء بعد الثناء والحمد، يبتدئ الداعي بالثناء على الله بما هو أهله وبحمده ثم يبدأ الدعاء: "أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك.." إلى آخر الحديث. لا تكاد تجد دعاء من أدعية الرسول عليه الصلاة والسلام إلا وقرنها بالحمد أو سبقها أو لحقها وختمها، لأن الحامد هو العابد، والعابد الحقيقي لا يكون إلا حامدا، عندما تشعر باللذة في العبادة، وبالرغبة في عبوديتك لله، فذلك هو عين الحمد، وليس عبثا أنه جعل لنا فريضة أننا نحمد الله عز وجل في صلاتنا سبعة عشر مرة على الأقل، دون عد سنتي الفجر و الوتر، وما يسر لك من نافلة بعد هذا وذاك.

لا تكاد تجد دعاء من أدعية الرسول ﷺ إلا وقرنها بالحمد أو سبقها أو لحقها وختمها، لأن الحامد هو العابد، والعابد الحقيقي لا يكون إلا حامدا، عندما تشعر باللذة في العبادة، وبالرغبة في عبوديتك لله، فذلك هو عين الحمد

الحمد لله رب العالمين هي أول لفظة في القرآن، بها يبدأ كتاب الله عز وجل، والقرآن كله من أوله إلى آخره يرجع إلى معنى الحمد، والشرائع التي شرعها الله لنا بتفاصيلها وأحكامها التي يعيش بها المؤمن، والأحكام الخمسة التي هي قانون السير والعلامات التي تبين له الطريق، والتي هي: الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، عندما يحتكم إليها المؤمن ويلتزم بها، فمعنى ذلك أنه يستجيب للحمد، ويحمد الله حقيقة، أما الذي يردد ذلك لفظا بالآلاف، يقول ألف مرة "الحمد لله"، وفعاله على عكس الطريق تماما، فهذا يستهزئ بربه-نعوذ بالله من ذلك- والذي يستهزئ بربه إنما يستهزئ بنفسه.

أول شروط الحمد العلم بالله ومعرفته حقا

خير لك أيها المؤمن أن تبحث عن معرفة ربك، فخطوة واحدة في معرفة الله عز وجل، خير لك من عشرات بل من آلاف الكلام الذي ترده على شفتيك بلا جدوى وبلا معنى، وعندما تعرف الله حقا ، فكلمة واحدة تخرج من فمك تكون أثقل من جبل في الميزان، لأنها حينئذ تنبع من إحساس ومن معرفة، لأنك تعرف ما تقول، وتعرف مقصد كلامك ووجهته، ولذلك فضل الله عز وجل العالم به على الجاهل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر28)؛ فالعلماء هنا ليسوا علماء المعلومات، الحافظين لكثير من الأشياء، وليس الحديث في الآية عن أولئك العلماء الذين ينصرف الفكر إليهم عند ذكر لفظ العلماء، والدليل على ذلك أن الواقع يكذب هذا التأويل وهذا التفسير، فكم من الناس عنده الأطنان من المعلومات في رأسه، وهو رأس الفسّاق والفجار، كيف لم يخش الله عز وجل؟ باختصار: هذا ليس من العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ به سبحانه وتعالى، العارفون لقَدره سبحانه وتعالى، وكم من واحد عنده بضاعة مزجاة من العلم وقليل من المعلومات، وهو يكفيه في طريقه إلى الله عز وجل، وبه يستضيء لمعرفة ربه، وباب المعرفة بالله الوحيد بل الأوحد الذي لا ثاني له: هو كتابه سبحانه وتعالى "القرآن" فهو كلامه جل وعلا، قد يرد ببالنا: السنة؟ نعم، ولكن عندما نتكلم عن المعرفة بالله؟ نقول: القرآن، لأن القرآن صدر عن الله عز وجل، والسنة تبيان. فهي تبين لك كيف تسير وكيف تهتدي في القرآن، فالقرآن الكريم مثل بحر كبير جدا -ولله المثل الأعلى-وإذا لم يكن أمامك في البحر قائد ومعلم يعرف أماكن التيارات الخطيرة والأمواج العاتية والصخور وغيرها.. قائد له خبرة بالطريق، سلكها من قبل ، فأنت تتبعه وتسير على هديه حتى لا تصطدم بحجر، وحتى لا تزيغ في الفهم عن الله، إذا لم يكن لك ذلك القائد فإنك لن تستطيع عبور البحر والوصول إلى الشاطئ الآخر، ولذلك جعل الله لنا محمد بن عبد الله ﷺ هاديا إليه سبحانه وتعالى، وسراجا منيرا، في ظلمات الصحراء يريك الطريق، وإلا فالصحراء أرض متشابهة كلها رمال لا تميز جهة عن أخرى، وتندرس معالم الطريق فيها بسبب الريح ولا يبقى لها أثر ، ومن هنا كانت السنة ضرورية، لكن لم؟ للسير عبر مسلك القرآن. كثير من الناس يقع لهم انشراخ في الدماغ، عندما يتمسك بالسنة وينسى القرآن، هذا لم يمسك شيئا مع الأسف، لأنك إذا فصلت السنة عن القرآن ستضل، ولن تصل، لأن القرآن مجمل لا يتضمن التفاصيل والأعمال التطبيقية اليومية الجزئية، الله عز وجل في القرآن الكريم قال لك : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (البقرة42)؛ لن تجد في كتاب الله التفاصيل:كيف تركع، وكيف تسجد، وأذكار الصلوات: أصولها وفروعها، ولا كيف تصوم، ولا كيف تحج... السنة تبين لك الهيئة والكيفية، ولكن القرآن هو الطريق إلى الله عز وجل، الطريق إلى الله المضمون العواقب، وحينما تستهدي بمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وتجعله أمامك شيخا لك حقا وصدقا، فأنت واصل بإذن الله عز وجل.

الحمد التعبدي إصلاح وتربية ونقلة إلى الخير

نعود إلى ما بدأنا منه: إن أول درجات الانطلاق إلى الله عز وجل هو الحمد، ولأجل ذلك ذكرنا الحمد، ليس لذكر المعاني فحسب، ولكن للعمل، فما نسمعه اليوم وغدا وبعد غد سيكون حجة علينا يوم القيامة، **ينبغي أن نقرر اللحظة التاريخية التي نُبَدِّلُ فيها حياتنا أنا وأنت وهذا وذاك، نبدل فيها حياتنا من شارد عن باب الله عز وجل إلى طارق لباب الله، فرق كبير بين من يدق أبواب التوبة والاستغفار، أبواب الرضا الرباني كل يوم، وبين من أعرض عن الدين، وسلك مسالك الشيطان. والفتنة طبقات: هناك من تمسكه باستمرار، وهناك من تمسكه وترسله، يجب أن تقاطعها ويجب أن تحاربها، يجب أن تخاف الفتنُ منك كما كانت تخاف من الصحابةَ الكرام، لكي تستطيع أن تقدم على هذه الخطوة التاريخية في حياتك، قرر أن تحمد الله، هذه هي البداية، هكذا بدأ آدم، وهكذا بدأ الأنبياء، وهكذا بدأ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.** في الحديث الصحيح أنه لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه الصلاة والسلام، وتركه ما شاء الله طينا، تأمل الطين يتحول شرايين من دم، الجماد يتحول إلى حياة ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونْ﴾(الصافات 12)؛ الله عز وجل يخاطب سيدنا محمد ﷺ في سياق الخلق ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾(الصافات 11)؛ لازب: أي يلتصق، فكأنه قال له: انظر كيف يتحول الإنسان الطين الجامد إلى حياة: عجيب؛ ولذلك قال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونْ﴾(الصافات 12)؛ نعم المؤمن يعجب فعلا من أمر الله؛ صحيح أن الملائكة قالت لامرأة إبراهيم: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ امْرِ اللهِ﴾(هود 72)، ولكن المؤمن يعرف بأن القدرة لله، ولكن الكفار "وَيَسْخَرُونْ"؛ فإذا عجب المؤمن من ذلك، وحق للمؤمن أن يعجب من أمر الله، لأن أمر الله عجيب، حينئذ لا يسعه -المؤمن المخلوق- إلا الحمد، ولذلك لما نفخ الله الروح في آدم عطس، في رواية قال آدم:"الحمد لله رب العالمين" فكانت أول كلمة نطق بها هي "الحمد لله رب العالمين"(13). وفي رواية أخرى أيضا -والحديث صحيح- أن الملائكة هي التي أمرته بالحمد فلبى فدعت له وقالت له : "الحمد لله"، قالت له الملائكة: يرحمك الله ، فصارت لنا سنة، لماذا نقول: الحمد لله ويقال لنا: يرحمك الله، لأنها تذكرنا دائما لحظة الولادة من العدم إلى الوجود، هذه بداية الإنسان، وبداية كل شيء، وهي بداية العبادة من سيدنا آدم إلى سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام، من أراد أن يبني نفسه بالإيمان، يضع الأساس الأول، وهو الحمد. والقرآن أنزل ليبني الإنسان، لكن مشكلتنا نحن المسلمين أن أجزاءنا متهدمة، الكفار تهدموا تماما، أقصد الوجدان الديني للكافر متهدم، لا يوجد أصلا، أما المسلم فقد تهدم من بنائه جزء، ولذلك وجب أن نعيد بناء أنفسنا من جديد، الكفيل بهذا البناء هو القرآن الكريم، فلنرجع للقرآن الكريم الذي جاء لبناء النفس وبناء المجتمع.

---

9 - عن أبي هريرة ﷺ، والحديث في صحيح البخاري صفحة أو رقم 6502، ونصه : إن الله قال :" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته".

10 - عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة صفحة أو رقم 1547.

11 - عن أبي سعيد الخدري ﷺ، والحديث في صحيح مسلم صفحة أو رقم 477.

12 - ضعيف، وانظر ضعيف الجامع صفحة أو رقم 5809 .

13 - عن أنس بن مالك ﷺ ، والحديث في السلسلة الصحيحة، صفحة أو رقم 2159 ، وقال فيه الشيخ الألباني : صحيح على شرط مسلم، ونصه: " لما نفخ الله في آدم الروح ، فبلغ الروح رأسه عطس ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك و تعالى : يرحمك الله.

السياسة فن تدبير المجتمع وإصلاحه وترقيته

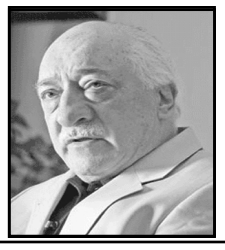

ذ. محمد فتح الله كولن

السياسة هي فن الإدارة التي تجلب رضا الله تعالى ورضا الناس. وبنسبة قيام الحكومات -بما تملك من قوة وقدرة- بالمحافظة على شعبها من الشرور والمفاسد، وصيانته من الظلم تكون بنسبة نجاحها وتوفيقها، وتبشر بمستقبل زاهر. وإلاّ فإن المظاهر الطنانة سرعان ما تزول مخلفة وراءها الفوضى والهرج والمرج، فلا تذكر مثل هذه الحكومات إلاّ باللعنات.

قام الأشخاص الأذكياء والمثقفون والناشطون من السياسيين بإدارة الجماهير منذ القديم. وقام العقلاء من بينهم بإدارتهم سواء أكانوا أشخاصاً جيدين أم رديئين. وقد توافقت سيادتنا العالمية مع امتلاكنا للكادر السياسي الجيد.

الشروط الآتية مهمة لكل سياسي ولكل إداري:

نصرة الحق وسيادة القانون والإحساس الوظيفي وفهم المسؤولية في الأمور الصعبة والثقيلة والمهارة في الأمور الدقيقة والمرهفة.

الحكومة تعني العدالة والاستقرار والأمن. فإن لم تكن هذه الأمور متوفرة في مكان ما فمن الصعب الحديث عن وجود حكومة هناك. فإذا قمنا بتشبيه الحكومة بمطحنة فإن الدقيق الذي تنتجه هو النظام والأمن والاستقرار. والمطحنة التي لا تنتج هذا ليست إلاّ آلة ضوضاء جوفاء لا تطحن سوى الهواء.

قبل أن تقول الحكومة عن أمتها "ها هي أمتي" فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها "ها هي حكومتي"، لأن هذا هو المطلوب. وبعكس ذلك فإن الأمة ترى في حكومتها قوة ظلم مسلطة على رأسها، أي أن بنية الأمة تكون قد انفصلت تماماً عن رأسها.

لكي ينمو إحساس الشعور بتوقير الدولة والحكومة واحترامها لا حاجة لقيام الموظفين باستعمال القوة لتحقيق ذلك. فالتصرف الوقور والجدي لأركان الدولة وإخلاصهم في عملهم يكفي لذلك. فلم يستمر حكم أحد ويرسخ بظلم الموظفين، أو بخداع الجماهير واستغفالها.

إذا كان الموظفون الذين يديرون دولة فاضلة يتم انتخابهم حسب أصالة نفوسهم وأصالة أفكارهم وأصالة مشاعرهم فإن تلك الدولة دولة قوية وعلى أساس متين. أما الحكومة النكدة الحظ فهي الحكومة التي يفتقر موظفوها إلى مثل هذه الخصال الحميدة ولن يكون عمرها طويلاً.

ضمن إطار القانون على الموظفين أن يكونوا ليني الجانب عند تعاملهم مع الناس. وهكذا يقومون بالحفاظ على منزلتهم وعلى منزلة القانون والدولة أيضاً. فالقسوة الزائدة عن حدها في التعامل تولد انفجارات غير متوقعة. كما يجب ألاّ يغرب عن البال بأن اللين الزائد عن حده يؤدي إلى نتائج سلبية عند العديد من غير الناضجين.

يجب أن يكون القانون نافذاً في كل مكان وفي كل حين وعلى الجميع دون استثناء. وعلى مطبقي القانون أن يكونوا عادلين وغير هيابين من أحد. وهذا شرط ضروري لحفظ هيبتهم لدى الجماهير من جهة، ولكي لا تفقد هذه الجماهير ثقتها في استمرار أمنها من جهة أخرى.

تكون الدولة قوية ومستقرة ومحظوظة بدرجة تمثيلها من قبل أفراد مؤمنين وأذكياء وأقوياء ونشيطين.

تولد الحكومات المجيدة من الأمم المجيدة. وتولد الأمم المجيدة من الأفراد الممتازين للأجيال المؤمنة التي تملك قابلية علمية عالية، وإمكانيات مالية كبيرة وآفاق نظر واسعة والتي تحاول أن تحافظ على ذاتيتها وأصالتها وهويتها.

يجب إيداع الإدارة في الأمة التي لم يبلغ كل فرد فيها درجة الرشد المطلوبة إلى أمهر أفرادها وأكثرهم علماً ومعرفة وسعة أفق. ولا يمكن تصور وجود كارثة أو نكبة أكبر من إيداع أمر إدارة شؤون الدولة وتسليمها إلى من لا يملكون علماً وعرفاناً ومهارة.

إذا جاء إلى إدارة شؤون الدولة نتيجة سوء الطالع من يفتقر إلى المعرفة والأصالة ومن لا يحسن هذه الإدارة ولا يفهم شيئاً عنها فإنه لا يتورع أبداً عن استغلال قوة الحكومة وقدرتها في سبيل مصالحه وأغراضه الشخصية فيصبح طاغية مستبداً.

في مثل هذه البلاد لن ترى سوى سطوة وقهر الظالمين، ولا تسمع سوى أنين المظلومين وآهاتهم. والعاقبة الحتمية لها على الدوام أن تلقى عاقبة "عاد" و"ثمود".

يجب ألاّ تقوم الحكومة بتنظيم أعمال وسلوك وتصرفات الأمة فحسب، بل بتنظيم تفكيرها وفهمها للأمور. وأهم أساس في هذا التنظيم وحدة التفكير ووحدة الشعور، ووحدة التعليم والتربية.

بنسبة أهمية وحدة الأمة في الثقافة والتفكير والشعور في قوة الأمة وزيادة قدرتها، يلعب تفسخ الوحدة الدينية والأخلاقية دوراً مهماً في تشتت الأمة وتفرقها.

السياسة موجودة في كل أمر. أما سياسة الذين يهيئون لإيقاظ الأمة وبعثها من جديد فهي إيثار أمور الأمة على كل شيء وتقديمها على كل شيء وعدم التفكير في أي مصلحة شخصية واستفراغ الجهد في مصالح الأمة.

يجب ألاّ يتم البحث عن الإدارة الجيدة والسياسة ذات المستوى الرفيع لدى الذين شاب شعرهم وابيضت لحاهم ولا عند المتبصبصين والمتزلفين للحصول على المناصب والرتب ولا عند أصحاب الشهرة الكاذبة التي وراءها محافل معينة وجهات معينة. بل يجب البحث عنها عند أصحاب النفوس الكبيرة وأصحاب المعاناة الفكرية وعند الذين جعلوا أنفسهم عبيداً للحق وللحقيقة.

وجود أفكار مختلفة وآراء مختلفة من صفات الناضجين، ولكن هذا لا يعني تقسيم الأمة الى معسكرات فكرية متناحرة، إذ لا يمكن لأحد أن يتسامح في هذا الأمر، ولا يحق له هذا. ذلك لأن السماح بتفرق وتشتت الأمة إنما هو سماح بانقراض الأمة وانهدامها.

مهما كنت مرناً مع المخالفين لك في الفكر والشعور ومتسامحاً معهم وحسن النية بهم، فمن الضروري ألا يغرب عن بالك احتمال صدور الأذى منهم نحوك. ولكن إن كان الأمر متعلقاً بالسيطرة على المواقع الحيوية للمجتمع وللأمة وشرايين حياتها فيجب ألا تعطي لهم مثل هذه الفرصة أبداً. ذلك لأن الإنسان قد يغض الطرف عن تصرفات تورده موارد الخطر، غير أنه لا يحق لأي أحد التصرف بشكل يوقع الدولة أو الأمة في خطر.

الدين مؤسسة حيوية جداً بسبب خاصيته في توحيد الأمة ورص صفوفها، لذا كان على القائمين بأمور الدولة أن يأخذوا هذا بنظر الاعتبار فيحتموا بظله وبقدرته التي لا تغلب.

لا يوجد هناك أقوى وأكثر فاعلية في تأمين الاستقرار والطمأنينة للدول وللأمم من قوة الدين. إذ أنه بجانب كونه أكبر قوة مؤثرة في الضمائر فإنه أعظم موجه لتصرف الإنسان وسلوكه، لذا كان على القائمين بإدارة الدولة إبقاء الدين حياً في النفوس وفي الضمائر، ويدركوا جيداً أن حياة الأمة مرتبطة عن قرب بالحياة الدينية لها.

إن القيام بترقية الأمة ورفع مستوى الشباب لإدراك مستوى عصرهم، ولكن في إطار من إيماننا وفكرنا، ومكافحة الفقر والبؤس محاربة جادة وعن بصيرة، والمحافظة على ثقة الجماهير مرتبط باستعمال المعرفة والعلم في الصناعة والتجارة.

هناك ثلاثة عناصر تحيا بها الأمة: الدين والحكمة والسلاح. ونستطيع أن نفسر الحكمة بأنها إدراك لعلم الحقيقة ثم تطبيقه في الحياة الواقعية.

الدنيا محطة تجارب. وكل شيء يأخذ مكانه حسب المعنى الذي يأخذه بعد مروره عدة تجارب. وأنا أرى أنه بجانب الاهتمام بالأمور المجربة، علينا ألا نقصر في إجراء تجارب جديدة وتقييمات جديدة للأشياء لكي يتم صيانة خصوبة العلم وغناه.

يجب أن تكون الشفقة والدقة هي الصفة الأساسية في خلق الولاة، والنظام والنظافة والأمن في السوق لدى رؤساء البلدية ، و حب الحق وعدم الانحياز والشجاعة الأدبية لدى الحكام.

وجود المنافسة بين الدول والأمم شيء طبيعي. لذا فإن السياسة فيما بينها تجري إما على محور الصداقة أو على محور المنافع. وكلتا السياستين لا بأس بهما إن لم تؤديا إلى ضرر أو إلى ضِرار. على أنه من الضروري لنا عدم الوقوع في مصايد الآخرين وعدم استغفالنا من قبلهم، لذا يجب الانتباه واليقظة على الدوام.

الذين يعتقدون أن السياسة عبارة عن حزب ودعاية وانتخابات وصراع للوصول إلى الحكم مخطئون. لأن السياسة عبارة عن صورة واسعة لفن إدارة الجماهير وإرضائها بحيث تتماشى مع رضا الحق تعالى وتنظر للحاضر وللمستقبل في آن واحد.

الماضي مدرسة مليئة بالأمثال وبالعبر المأخوذة من الحياة. والذين يستطيعون معرفة كيفية الاستفادة من ثمرات هذه المدرسة وتقييمها تقييما جيدا يستطيعون حكم المستقبل بكل نجاح. ذلك لأن اليوم يشبه الأمس، والأمس يشبه أمس الامس... الألوان هي المتغيرة فقط.

حكم القوة مؤقت وزائل. أما حكم الحق والعدل فباقٍ. وإذا لم يتحقق هذا الآن فالحق آتٍ عن قريب دون ريب. لذا فأفضل سياسة هي أن تكون بجانب الحق والعدل.

إشراقة

ضوابط رواية الضعيف في الفضائل

ذ. عبد الحميد صدوق

إن الاستدلال بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال له قواعد وضوابط، قررها العلماء، فلا بد للواعظ أن يراعيها أثناء روايته للضعيف، لأن هذا باب خطير ينسب فيه إلى النبي ﷺ ما هو مشكوك في صحة سنده وسلامة طريقه، وفضائل الأعمال أي فضائل الأعمال الثابتة، والمندوبات التي يثاب فاعلها، ولا يذم تاركها، فإنه يجوز فيها أخذ الحديث الضعيف والعمل به، لأنه إن كان صحيحا في نفس الأمر فقد أعطي حقه من العمل وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم، ولا ضياع حق الغير، لكن يشترط للعمل بالحديث الضعيف ثلاثة شروط :

1- عدم شدة الضعف بحيث لا يخلو طريق من طرقه من كذاب أو متهم بالكذب.

2- أن يدخل تحت أصل عام.

3- أن لا يعتقد سنية ما ثبت بذلك الحديث، بل يعتقد الاحتياط.

وقال الزركشي : الضعيف مردود ما لم يقتض ترغيبا أو ترهيبا، أو تتعدد طرقه. وقيل : لا يقبل مطلقا. وقيل يقبل إن شهد له أصل واندرج تحت عموم، ويعمل بالضعيف - أيضا في الأحكام إذا كان فيه احتياط.

فإذا تحققت هذه الشروط فحينئذ يجوز التساهل في رواية الضعيف. قال الإمام أحمد رضي الله عنه وغيره من الأئمة : إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا. والذي ذهب إليه كثير من أهل العلم : الترخص في الرقائق، وما لا حكم فيه من أخبار المغازي، وما يجري مجرى ذلك، وأنه يقبل فيها ما لا يقبل في الحلال والحرام، لعدم تعلق الأحكام بها.

وممن نص على قبول الحديث الضعيف في فضائل الأعمال أحمد بن حنبل وغيره، واختاره جمع عظيم من المحدثين وصرح به ابن سيد الناس في سيرته المسماة ب "عيون الأخبار" وعلي القاري في "الحظ الأوفر في الحج الأكبر" والسيوطي في رسالته "المقدمة السندسية" ورسالته التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة" والسخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، والنووي في الأذكار.. وابن حجر وابن همام.. وغيرهم ممن تقدم عليهم أو تأخر، وابن الصلاح في علوم الحديث وغيرهم كثير.

وضعف الحديث ليس على مستوى واحد، فهناك الضعيف المقبول الذي يستأنس به في العمل الصالح، وهناك الحديث المرفوض المردود لشدة ضعفه. قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله تعالى : الضعيف عندهم نوعان : ضعيف ضعفا لا يمتنع العمل به، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي.

وضعيف ضعفا يوجب تركه، وهو الواهي(1).

وذهب فريق آخر إلى منع الاستدلال بالضعيف، لأنه استحسان عبادة بدليل ضعيف، والمعتبر في العبادات النص الصحيح. فلهذا قالوا : إن الفضائل تلقى من الشرع، فإثباتها بالحديث الضعيف اختراع عبادة والقائل بذلك شرع من الدين ما لم يأذن به الله.

وجاء في الرد على هذا : هو أن ذلك ليس من باب الاختراع في الشرع، وإنما هو ابتغاء فضيلة ورجاؤها، مع أمارة ضعيفة من غير ترتب مفسدة عليه كما تقرر. وقال جلال الدين الدواني، في رسالته "أنموذج العلوم" : اتفقوا على أن الحديث الضعيف لا يثبت به الأحكام الشرعية، ثم ذكروا أنه يجوز بل يستحب العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال.

وعلى هذا رجح كثير من الفقهاء الحديث الضعيف على الرأي قال الإمام أحمد : ضعيف الحديث أحب إلينا من رأي الرجال. وذكر ابن حزم الإجماع على أن مذهب أبي حنيفة، أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي والقياس، إذا لم يجد في الباب غيره. وقال شريح(2) : إن السنة قد سبقت قياسكم، فاتبع ولا تبتدع، فإنك لا تضل ما أخذت من الأثر.

1- الفتاوي الكبرى ج 18 ص 18.

2- هو شريح الفقيه أبو أمية قاضي الكوفة، وكان ممن أسلم في حياة النبي(ص) حدث عن عمر وعلي وغيرهم وهو قليل الحديث مات 8 هـ.

نماذج من الذين أحسنوا الظن بالله

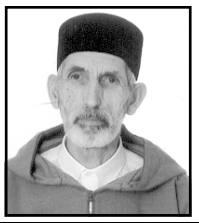

ذ. محمد الصباغ

أ- أنبياء الله ورسله :

وممن أحسنوا الظن بالله، وفازوا برضاه فوزا عظيما، أنبياؤه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي عاب على أبيه وقومه ما يعبدونه من تماثيل وأصنام كسرها لهم، ولما علم المشركون بذلك، اتفقوا على حرقه في النار التي أوقدوها أمام عينيه، وهو ثابت على إيمانه، ويقينُه في الله وحسنُ ظنه بربه يتأرجح بين الشهادة أو النجاة، فجاء الأمر الإلهي للنار ﴿قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين﴾(الأنبياء : 69).

وهذه أم موسى التي أحسنت الظن بالله، حين خاطبها ربها ﴿فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ (القصص: 6). فلبت أمر ربها وألقت برضيعها في اليم، فأعاده الله لها ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق﴾(القصص : 12). ولما كبر موسى وجعله الله نبيا ورسولا لبني إسرائيل، قال له قومه حين تبعهم فرعون بجيشه ﴿إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين﴾(الشعراء : 62) فقوله : "إن معي ربي ..." دليل على حسن ظنه بربه أنه سينجيه وأتباعه من بطش فرعون وقومه.

وهذه مريم بنت عمران التي اتهمت بالزنا حين جاءت أهلها بمولود تحمله ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾(مريم : 26- 28).

فإشارتها إليه ليسمعوا منه كلامه، ناتج عن حسن ظنها بربها أنه سبحانه سينطقه. لإثبات براءتها مما رموها به. فأنطقه الله حيث قال : ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيئا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾(مريم : 29- 31).

وهذا يوسف عليه السلام حين أعطى القميص لإخوته ليلقوه على وجه أبيه، كان ظنه في الله حسنا أنه سبحانه سيعيد إليه بصره ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يات بصيرا واتوني بأهلكم أجمعين﴾(يوسف : 93).

وهذا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، قد ثبت في السيرة أنه كان حسن الظن بالله، ومنها ما ورد عنه حينما قال له أبو بكر وهما مختبئان في الغار: إنهم سيروننا يا رسول الله، فرد عليه ﷺ : "لا تحزن إن الله معنا" وقد قال المفسرون : إن الأفضلية مع ذكر الله قبل المعية، تكون أقوى من ذكره بعده.

ب- نماذج من المؤمنين المحسنين الظن بالله :

لكن رغم كل ما ذكر، فإن اقتناع بعض الناس بحسن ظنهم بربهم، يبقى بعيد المنال، معللين ذلك بقولهم : أين نحن من درجة الأنبياء والرسل وأولياء الله الصالحين؟ فيأتيهم الجواب في قول الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(الطلاق : 2- 3).

ومن انتابه الشك فيما تقدم، فليتأمل معي فيما وقع لبعض من أحسنوا الظن بربهم من أناس عاديين، ولم لا نكون نحن مثلهم؟ ألم يكن ظن الرفقاء الثلاث الذين انغلق عليهم الكهف في الله حسنا. فأخذ كل واحد منهم يناجي ربه ويدعوه، ويذكر أهم ما فعله من أعمال صالحة، ابتغاء مرضاة الله، والله أعلم بذلك؟ حيث ذكر أحد هم كيف كان يحسن لأبويه فيطعمهما قبل إطعام أولاده.. وذكر الثاني تراجعه عن فعل الزنا بعد ما ناشدته المرأة بالكف عنها، وصرحت له بأنها ما قبلت بذلك إلا لسوء حالها وافتقارها لما تطعم به صغارها، فرق قلبه لها خشية من الله وتخلى عنها بعدما مكنها بما كان لديه من المال.

وذكر الثالث المال الذي استثمره لصاحبه الذي أودعه عنده، وغاب لمدة طويلة، ولما عاد وجد صاحبه قد نما له ذلك المال، وكون منه قطيعا من الغنم، فسلَّمَهُ إليه كله. ومعلوم أن الكهف كان ينفتح بإذن الله شيئا فشيئا كلما ذكر أحدهم قصته، حتى ظهرت به فتحة كبيرة، فخرجوا منها سالمين شاكرين نتيجة حسن ظنهم بالله وتوكلهم عليه سبحانه.

وذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره قصة الذي أحسن الظن بربه فنجاه ممن كانا يطاردانه، حيث حكى عن نفسه فقال : هربت من جنود العدو وانحزت إلى ناحية عنه، فلم ألبث أن خرج في طلبي فارسان، وأنا في فضاء من الأرض قاعد لا يسترني عنهما شيء، وأنا أقرأ أول سورة يس وغيرها من القرآن فعبرا علي ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر : هذا دِيْبُلُه : يعني شيطان بالإسبانية. وهكذا أعمى الله أبصارهم فلم يروني والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك.

وليعلم الجميع أن حسن الظن بالله واجب على كل إنسان وهو عبادة من العبادات التي يتقرب بها إلى الله، فعن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : "حسن الظن من حسن العبادة" كما أن حسن الظن بالناس مطلوب أيضا، وهو يحفظ صاحبه من بغضهم وحسدهم وإذا يتهم.

معالم المنهج التربوي في الإسلام من خلال المشاهدات الكونية

ذ. عبد الرحمن بوعلي -العيون

شاءت إرادة المولى عز وجل أن يكون انعتاقُ هذه الأمة بواسطة كتابين أحدهما مقروء والآخر منظور.

أما المقروء فهو القرآن الكريم الذي تتمثل فيه المناهج النظرية في الإسلام بقواعدها وثوابتها القارة بلا منافس ولا مُنازع ولامثيل.

في حين، يمثل هذا الكونُ جانبه أو كتابه المنظور والمشاهَد.

والناظر في القرآن الكريم يدرك تمام الإدراك أن الكتابين لا ينفصلان ولا يستغني أحدهما عن الآخر سواء تعلق الأمر برسم مناهج الحياة المادية أم تعلق الأمر برسم مناهج الحياة الروحية والدينية للمومن.

إن مناهج الحياة المادية للمومن تُعد في الإسلام من الثوابت الواجب حمايتها وتسطير مبادئ تحكُمها وتنظمها إلى أبعد حدود.

ولذلك قال عز وجل : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾(الجمعة : 10).

● **أولا- في قوله تعالى : ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ :** يستفاد أن الصلاة هي أول الأعمال وأسماها لأنها صلة بين العبد وربه، صلة بين من في الأرض ومن في السماء، كما أنها تواصل معنوي عملي دائم بين الخالق والمخلوق، يدوم بدوام الحياة ومتطلباتها، كل يوم خمس مرات على الأقل، تتجدد بتجدد الحاجيات والضروريات والكماليات على سواء... فإذا ا نقطعت هذه الصلة بطلت بقية الأعمال لذلك في العبادة الوحيدة التي لاتقبل فيها النيابة في الإسلام على الإطلاق، وفي جميع الأحوال.

ولا تقوم العبادة -كالصلاة وغيرها- مقام السعي وفعل الأسباب، إذ بذلك تكون خالصة لوجه الله تعالى، وإلا لوقعت الصلاة لمجرد الرغبة في نزول الرزق والزيادة في العيش أو لمجرد الخوف من انقطاعهما ليس إلا، ولذلك عقب انقضاء الصلاة بقوله آمرا "فانتشروا...".

ثانيا- دلالات تربوية للأمر بالسعي والانتشار في الأرض بعد قضاء الصلاة :

قد يدفع هذا إلى غياب التجمع للصلاة بالحجم الذي يقع في الجمعة طيلة أيام الأسبوع، فيغيب المومن عن إخوته أكثر من اللازم، ولذا جاء الأمر بالانتشار بعد صلاة الجمعة، ومعنى ذلك أن حضور الجمعة أوكد، وفي تجمع أكبر.

- والانتشار في الارض عزة ومناعة، إذ فيه كرامة وعفة، وحفظ ماء الوجه عن سؤال الآخرين، كما أن ذلك طريقٌ في درب بناء الشخصية الإنسانية المستقلة، الرافضة للخضوع لسلطة غير سلطان الله عز وجل

● **ثانيا- والتعبير القرآني بالانتشار، يحمل دلالات تربوية عميقة منها :**

1- إنه لا أحد يُستثنى من واجب السعي في طلب الرزق الحلال حتى لا تكون هنالك فئة تعيش عالة على المنتشرين في الارض، فكما جمعهم واجب الصلاة والتحرر منها بقضائها، جمعهم أيضا واجب الانتشار.

2- إنه لا حدَّ للجهة التي تَوجه الأمرُ بالانتشار فيها، وإنما الانتشار إلى أية جهة شاء المومن من جهات الأرض الفسيحة ما لم تُنتهك حُرُماته بها ، وفي وُسعه إقامة شعائر دينه بها.

3- وإن كانت جهات الأرض في متناول العبد، فإنه مُؤطر فيما يبتغيه بأن يكون من رزق الله الحلال : ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ وهو الطيب الحلال.

4 ـ وفي الانتشار والتعبير به دون غيره ك : تفرقوا، اسعوا، وامشوا... إشارة إلى الكثرة الكثيرة ممن يحضرون صلاة الجمعة من المومنين.

● **ثالثا- والتعبير القرآني بقوله : ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ يحمل دلالات تربوية أخرى أذكر منها :**

1- إن الابتغاء فيه معنى الطلب، لكن بواسطة الأسباب التي أحلها الله تعالى، كالتجارة الحلال في شيء طيب حلال.

2- وفيه مشروعية العمل، إذ السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة... "كما قيل".

3- إن ما يملكه الانسان من العيش، وما يتقلب فيه من النعم، ما هو إلا من فضل الله تعالى عليه، ومن فيض عطائه وفضله سبحانه، ويبقى سعي العبد مجرد سبب ظاهر ليس إلا.

● **رابعاً - وفي الامر بذكر الله في الختام دلالات أخرى منها :**

1- إنه لا فاصل يفصل في أعمال العبد بين دينه ودنياه، فكل ما هو دنيوي فهو في نفس الآن أخروي.

2- غير أن صلاح العبد في علاقته بالله تعالى أدعى إلى التوفيق في أعماله المختلفة والمتنوعة، ولذا حُصرت الأعمال بين أمرين : أمر بالصلاة، وأمر بالذكر.

وإلى هذا التوفيق إشارة بقوله عز وجل : ﴿لعلكم تفلحون﴾.

هكذا يلاحظ المومن من خلال هذه الإشارات أن سائر جوانب الحياة عند المومن لها صلة عضوية بحياته الدينية، وفي الصلاة المذكورة مثالا شافيا كافيا للاعتبار.

والانتشار في الارض سعي في التواصل مع جزئيات هذا الكون وكلياته، تواصل مع الأرض أولا وما حملت من نعم الله لهذا الانسان ما ظهر منها وما بطن ، الساكن منها والمتحرك، تواصل مع ما يحيط بالأرض من هوى ودفء وبرودة وبيئة... تواصل يحمل تجاوبا وتعايشا متلازمين، يفرضهما وحدة الأصل المعبود سرا وعلنا وهو الخالق عز وجل، الذي قدر فأحسن التقدير قال سبحانه ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾.

شاءت قدرته وقَدَره أن تكون الخلائق كلها في هذا الكون خادمة لهذا الانسان، فقال سبحانه ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فيه بِأَمْرِه وَلِتَبْتَغُوا من فَضْلِه وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(الجاثية : 12- 13).

وَقال سبحانه :﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(لقمان : 20).

وقال عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحج : 65).

وقال سبحانه : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(النحل : 12).

وقال عز من قائل : "﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

وقال سبحانه : "﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾(ابراهيم : 32- 33).

تلك حقائق إلهية أكدها الكتاب العزيز، صريحة كلها في الكشف عن مكانة هذا الانسان وعظمته في التقدير الإلهي، وإلا ما كان أهلا لتسخير هذا الكون كله له بما فيه من أرض وما حوت، وسماء وما حوت ، وبر وبحر و غيرهما...

أخبار وعبر

د. مصطفى فوضيل

يشكل القصص من مجموع القرآن الكريم حيزا مهما، وذلك يدل على قيمته الكبيرة في تربية المسلمين وتعليمهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم. وهذه القيمة بارزة بيّنةٌ في قوله تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(يوسف 2).

والتعبير بـ"الأحسن" هنا في وصف القصص القرآني الكريم، يشير إلى مسألة منهجية في غاية الأهمية، نبّه عليها القرآن الكريم في عدة مواضع، وهي أن المسلم ينبغي أن يتطلع في جميع أموره إلى الأحسن. ومن أمثلته في القرآن الكريم:

قول الله تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾(الإسراء : 53)

- وقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل : 125).

- وقوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾(النساء : 86).

- قال الله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(المومنون : 96).

- وقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(فصلت :34-35).

- وقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأنعام : 152).

- وقوله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾(الملك : 2).

ففي هذه النصوص جميعا توجيه إلى مقصد رباني هادف إلى كل ما يرتقي بالمسلم في أعلى الدرجات وإلى كل ما يقوي العلاقة الاجتماعية بين المسلم وأخيه المسلم؛ وإلى كل ما يسهم في تبليغ الهدى إلى سائر الخلق، ولا يكون ذلك إلا بتوخي الأحسن.

وفي تحري الأحسن تخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل. وذلك لأن الله تعالى يقول الأحسن ويفعل الأحسن، ومن ذلك:

- قوله عز وجل ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(الزمر : 23).

- وقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.(الإسراء : 9- 10).

- وقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾(التين : 4).

- وقوله تعالى ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(المؤمنون : 14).

- وقوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (البقرة : 136-138).

وقد كان قصص القرآن الكريم أحسن القصص نظرا لـ:

- **الصدق في الإخبار:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف : 111). فهو قصص مبني على الخبر اليقين؛ لأن الذي أخبر به هو الله تبارك وتعالى الذي ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(سبأ : 3).

- **والاختصار المفيد:** وهو مبني على القصد في الإخبار، لأنه قصص مراد للعبرة، فهو يحكي من أخبار الأنبياء والناس وغيرهم ما يفي بالجمع بين التشويق والتذكير. ثم هو بعد ذلك مصوغ بأساليب فنية تترك للذهن تصور كثير من التفاصيل في المشاهد والأحداث.

- **والتعريف بالأنبياء عليهم السلام وهم أكرم الخلق عند الله تعالى:** بذكر علومهم ومعارفهم، والإنباء عن أحوالهم وأخلاقهم الخاصة مع ربهم عز وجل وأهلهم وأولادهم وأقوامهم، والتعريف بمناهجهم في الدعوة والتبليغ والتزكية والتعليم، وغير ذلك مما يفيد الدعاة والمربين والمصلحين.

- **وتَضَمُّنه العبرة لأولي الألباب:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف : 111) قال الراغب رحمه الله تعالى: "الاعتبار والعبرة: الحالة التي يُتَوَصّلُ بها من معرفة المُشاهَد إلى ما ليس بمُشاهَد". وبناء على هذا المعنى فإن القصص القرآني الكريم يعرض علينا مَشاهدَ تتضمن في ثناياها كثيرا من الفوائد والحِكَم والأحكام، التي يتحقق بها التذكر والاهتداء. ولذلك قيده بـ"أولي الألباب"؛ لأنهم هم المؤهلون بالمرور من المُشاهَد إلى ما ليس بمُشاهَد.

- **بيانُه لسنة الله في خَلْقه:** فإن الله سبحانه وتعالى أشار في كثير من المواضع إلى هذه السنة وأنها تأكدت عبر تاريخ البشرية الطويل. يقول الشيخ ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(137). والمعنى: قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق، وهي أن قوة الظالمين وعتوهم على الضعفاء أمر زائل، والعاقبة للمتقين المحقين، ولذلك قال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي المكذبين برسل ربهم وأريد النظر في آثارهم ليحصل منه تحقق ما بلغ من أخبارهم، أو السؤال عن أسباب هلاكهم، وكيف كانوا أولي قوة، وكيف طغوا على المستضعفين، فاستأصلهم الله لتطمئن نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدة عيان، فإن للعيان بديع معنى لأن المؤمنين بلغهم أخبار المكذبين، ومن المكذبين عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس، وكلهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهدها كثير منهم في أسفارهم.

وفي الآية دلالة على أهمية علم التاريخ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها. قال أبن عرفة: السير في الأرض حسي ومعنوي، والمعنوي هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم، وما يقرب من العلم، وقد يحصل به من العلم ما لا يحصل بالسير في الأرض لعجز الإنسان وقصوره.

وإنما أمر الله بالسير في الأرض دون مطالعة الكتب لأن في المخاطبين من كانوا أميين، ولأن المشاهدة تفيد من لم يقرأ علما وتقوى علم من قرأ التاريخ أو قص عليه"(التحرير والتنوير/ تفسير سورة آل عمران الآية 137).

- **وتأكيد عمق حقائق الإيمان في التاريخ:** فكل القصص القرآني وخصوصا قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدل على أنهم مرسلون من إله واحد سبحانه، وأنهم كلفوا بتبليغ رسالة واحدة هي الإسلام. وأنهم دعَوا جميعا إلى عبادة الله تعالى وحده، وإلى الإيمان باليوم الآخر: يوم البعث والجزاء. كما دل تتابعهم في الزمان على إثبات حقيقة الرسالة والوحي، فصار ذلك حقيقة ثابتة عند البشرية جمعاء.

- **وتثبيت فؤاد النبي ﷺ:** قال الله تعالى ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(هود : 120). وفي ذلك ما فيه من الزاد للدعاة لمواجهة كل التحديات التي لن تخرج في نهايتها عن سنة الله عز وجل في خلقه، وقد استقر في عمق الحقيقة الكونية أن العاقبة للمتقين. وصار قوله تعالى ﴿... فاصبر إن العاقبة للمتقين﴾ شعارا خفّاقا يراه المؤمنون مهما امتدت بهم الحياة في الزمان أو في المكان.

وسنحاول بإذنه سبحانه عز وجل أن نعيش مع قصص القرآن الكريم، ابتداء من قصة آدم عليه السلام وختما -إن مدّ الله تعالى في العمر- بقصة سيدنا محمد ﷺ؛ فتلك سلسلة ذهبية مباركة تلخصها الآيات الكريمة:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف : 108- 111).

كل القصص القرآني وخصوصا قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدل على أنهم مرسلون من إله واحد سبحانه، وأنهم كلفوا بتبليغ رسالة واحدة هي الإسلام. وأنهم دَعَوا جميعا إلى عبادة الله تعالى وحده، وإلى الإيمان باليوم الاخر: يوم البعث والجزاء. كما دل تتابعهم في الزمان على إثبات حقيقة الرسالة والوحي، فصار ذلك حقيقة ثابتة عند البشرية جمعاء

هذا القرآن هو الكتاب!

إن أعظم حقيقة في هذا القرآن هي أنه كلام الله.
وكفى بها حقيقة وجودية كبرى تملأ القلبَ رهباً.
كلام الله.. وما أدراك ما كلام الله قال الله تعالى : ﴿وإن أحد من المُشركين استجارك فأجِره حتى يسمع كلام الله ثمّ أبْلِغه مامنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾(التوبة : 6).
الله جل جلاله رب العالمين، خالق السماوات والأرضين، مالك الملك والملكوت، الحي الذي لا يموت، مبدع هذا الوجود كله، غيبه وشهادته، رب الخليقة كلها، إنسها وجنها وأملاكها، وما دون هذه وتلك من كائنات ومخلوقات، مما لا يحصره عد ولا يحيط به خيال. هذا الرب العظيم خالق كل شيء، هو سبحانه يتكلم بهذا القرآن من فوق سبع سماوات ثم يرسله إلى الإنسان في الأرض وحياً منه تعالى.. ألا إنه لنبأ عظيم!
... ذلك هو "الكتاب"، الكتاب الذي لم ينزل قبلَهُ ولا بعدَهُ كتابٌ يدانيه جلالةً وعظمةً وقدْراً ، ومن هنا كان الدخول إلى عالم القرآن الكريم له جلالٌ خاص!

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

من وظائف علم أصول الفقه في التربية والإصلاح

د. الطيب الوزاني

تـوطئـة

إن الحـديث عن وظائف علم من العلوم وفوائده يمكن حصرها في جانبين : جانب نظري، وجانب عملي تطبيقي، فالفائدة النظرية للعلم تعود على العلم نفسه بتكثير الأبحاث فيه وتحقيق نتائج جديدة وتطوير مباحثه وتدقيق أحكامه ومناهجه ونتائجه ، كما تعود على العلوم الأخرى بتطوير حركة البحث العلمي فيها عموما لأن تطور أي علم يعود بالفائدة المباشرة أو غير المباشرة على العلوم الأخرى، أما الفوائد العملية لأي علم فتعود بالنفع على الإنسان والمجتمع، ولا قيمة لعلم لا نفع فيه للإنسان، وذلك بالاستفادة منه في صياغة مشاريع مخططات دقيقة وتنفيذها في إصلاح المجتمع وفي تنظيمه وتقدمه وتحسن أوضاعه المادية والمعنوية.

وبناء على هذا فإن علم أصول الفقه واحد من العلوم الذي ينطوي على فوائد نظرية وأخرى عملية غاية في الأهمية التربوية والإصلاحية غير أنه بسبب ما عرفته الأمة من ضعف وتراجع واستعمار واستتباع واستلاب تم تجاهل فوائده النظرية والعملية، ونظر إليه على أنه علم شرعي يقتصر على العلم بقواعد استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وتم تحقير حقيقته ووظيفته- بقصد ووعي أحيانا وبغير قصد ولا وعي أحيانا أخرى- كعلم لحفظ الدين وتجديد التدين وإصلاح المجتمع وتكوين المجتهدين وشحذ ملكات الفهم والتحليل والتركيب والقياس والنقد والمقارنة والترجيح وتقوية ملكة الاستدلال والاحتجاج والاستنتاج ، وتربية الفرد على قوة النظر والمناظرة والاجتهاد.

وقد تطور هذا العلم في تاريخ الأمة عبر مراحل ومحطات، وكان -في كل مرة- يرتبط بحاجات الأمة الدينية والاجتماعية والفكرية ويؤهلها لتجاوز مختلف تحدياتها التاريخية.

وقد انتهى في صيغته الأخيرة إلى الانتظام في أبواب يمكن عرضها كالتالي - مع ترك التفصيل في الخلاف في طريقة التأليف والترتيب والاعتبار- : باب الحكم الشرعي، وباب الأدلة، وباب الدلالات، وباب الاجتهاد والتقليد، وباب التعارض والترجيح ، وباب المقاصد والمصالح.

وبناء على هذا يمكن التنبيه على القيمة الكبرى لهذا العلم في تكوين شخصية الطالب المسلم وتمكينه من تنمية كفاءاته وقدراته العقلية والنفسية والخلقية والاجتماعية وإقداره على اكتساب ملكات التكوين الذاتي والإسهام الإيجابي في إصلاح المجتمع، فقد كان أغلب من اشتغل بهذا العلم في تاريخ الأمة علماء مجتهدين ومصلحين في مجتمعاتهم بدءا بجيل الصحابة والتابعين وانتهاء بالأئمة الأعلام كالإمام أبي حنيفة ومالك والإمام الشافعي وأبي الوليد الباجي وابن حزم وأبي حامد الغزالي والعز بن عبد السلام والشاطبي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم كثير؛ بل إن حركة الاجتهاد والإصلاح كانت تنطلق كثيرا من هذا العلم ومن أهله، فقد كان الأصوليون رواد الأمة ومصلحيها، والناظرين بعلم وإخلاص في مشاكلها المستجدة.

وقد بين الأستاذ فريد الأنصاري في كتابه "المصطلح الأصولي عند الشاطبي" أن جوهر علم الأصول جوهر علمي تربوي وإصلاحي (فصل إصلاحية التجديد الأصولي عند الشاطبي) وتتبع ذلك عند الشاطبي من خلال مصطلحات وقضايا ومباحث الأصول والمقاصد الواردة في كتاب الموافقات كما حرص على إبراز البعد التربوي وتجلية الجانب الإصلاحي لكل المصطلحات التي تم استخراجها ودراستها دراسة مصطلحية فقال رحمه الله مجملا هذه الحقيقة بعد أن استقرى تجلياتها في مختلف المصطلحات والقضايا التي درسها:"ولا يكاد يخرج مصطلح منها(مباحث الموافقات) عن المغزى التربوي، قصدا أو جوهرا! بل إن بعض الأبواب وأنت تقرؤها أو تدرس مصطلحاتها لا تكاد تدري أو تميز أأنت بصدد بحث في علم أصول الفقه أم في علم التربية، وأصول الدعوة ، والإصلاح الاجتماعي"(المصطلح الأصولي : 120 ، ط1، 2004).

ويسعى هذا المقال إلى إبراز بعض الجوانب التربوية والإصلاحية في علم الأصول والجوانب التي يسعى إلى تنميتها في الفرد أو إصلاحها في المجتمع، ومن ذلك مايلي:

أولا – على مستوى باب الحكم الشرعي :

يهدف علم الأصول إلى:

1- تخريج ناشئة مرتبطة بالله ورسوله وشرعه وقوية في إيمانها وامتثالها لله ولشرعه لأن علم الأصول كما يدل اسمه فهو علم بالأصول الشرعية ومصادره الأولى الصادرة من الله عز وجل ومن سنة رسوله ﷺ أو المستنبطة منهما وبالتالي فإن المتعلم يتربى هنا على التشبع بفكرة أن الله ورسوله هما المشرع الحقيقي الذي يجب النزول عند حكمهما (مبحث الحكم الشرعي): مثل قوله تعالى: ﴿وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهما الخيرة من أمرهم﴾(الأحزاب : 36) ومثل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾(الحجرات :1)

2- تدريب المتعلم على التخلق بخلق الالتزام بحدود الشرع وبتطبيق أحكامه لما فيها من مصالح تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، وأن الشرع الواجب طاعته هو شرع الله وكل شرع ابتعد عنه أو ناقضه فإنما يكون قد ناقض مصلحة الإنسان والمجتمع.

3- تشبع الطالب بفكرة ربط العلم بالعمل والمعرفة بالتخلق إذ غاية هذا العلم هي استنباط الحكم الشرعي للعمل به، فهو علم أقرب وألصق بالامتثال والتعبد والعمل وأبعد عن الترف العلمي والجدل.

4- تشبع الطالب بروح التشريع في التخفيف والتيسير ومراعاة أحوال المكلفين وفروقاتهم (أهلية التكليف)، وتنوع الأحكام الشرعية ليدخل الجميع في المشاركة في الطاعة والامتثال كل بحسب قدراته (الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح والمكروه والحرام)، فيتم تحقيق وتطبيق شرع الله في جميع مستوياته وأحواله.

5- تأهيل المتعلم إلى الاستفادة من قواعد الاستثناء الشرعي في مراعاة خصوصية ذوي الاحتياجات الخاصة وتقدير حقوقهم في الحياة وعدم إعناتهم وإكرامهم بما أكرمهم به الشرع بتوظيف قواعد التخفيف والرخصة والاستثناء وإعطاء كل حالة ما تستحقه شرعا. وفي هذا ترسيخ لخلق الرحمة في الناشئة وتدريب لهم على الأخلاق الاجتماعية، وعلى ما يجب الاهتمام به في الإصلاح وفي حالات الضرورة.

ثانيا – على مستوى مصادر التشريع :

يسعى علم الأصول إلى جملة أمور منها:

1- تنشئة الطالب على إعطاء الأسبقية للدليل الشرعي الأصلي (كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة مثلا) على المصادر الشرعية الاجتهادية التبعية المبنية على الأولى (القياس الاستحسان الاستصلاح سد الذرائع الاستصحاب....).

2- تكوين جيل من الأمة يقدر العلم الشرعي ويقدر العلم والعلماء ويساعد الأمة على العودة إلى دينها وتطبيق أحكامه والبحث عن حلول لمشاكل المجتمع والحياة انطلاقا من الشرع أولا ثم من العقل المهتدي بهدايات الشرع ، كما أن مصادر التشريع ترشد إلى وجوب الأخذ بالدليل الأقوى وترتيب الأدلة بحسب شرعيتها وقوتها والابتعاد عن الأهواء والتخرصات من غير دليل.

ثالثا– وعلى مستوى باب الدلالات وطرق الاستنباط اللغوي :

يقصد علم الأصول إلى تخريج طالب علم أصول الفقه محصلا لكفايات معرفية ومنهجية ووجدانية وتواصلية يمكن إجمالها:

1- تأهيل الطالب إلى مرتبة الاجتهاد في فهم نصوص الشرع وغيرها وفق ضوابط صارمة وقواعد دقيقة في توليد الدلالة اللغوية والكشف عن المراد.

2- ترسيخ خلق الاعتزاز بأهمية اللسان العربي في فهم خطاب الشارع الحكيم وأهميته في حفظ الدين من الضياع

3- امتلاك أدوات تحليل الخطاب وتحديد دلالاته بشكل أقرب إلى حقيقته بعيداً عن التخرصات والظنون المجردة من أدلتها وأماراتها.

4- تربية ملكة التواصل اللغوي والبحث العلمي والمنهجي المنظم في التحليل والتركيب والاستنباط والتوليد ومعرفة أصول الأدلة وأسباب اختلاف العلماء الراجعة إلى اللغة.

رابعا – في مستوى باب الاجتهاد :

يهدف علم الأصول تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية على المدرس الحرص على تحقيقها وتنمية مواهب الطلبة عليها لتحقيق الكفايات المطلوبة من هذا الباب، ومنها:

1- تكوين ملكة القياس والنظر والاستدلال وتعويد الطالب البحث المستمر لإيجاد حلول للقضايا والنوازل بإلحاق الفروع بأصولها والمجهول بالمعلوم، وتجديد الدين والتدين، كما يتعود الطالب في أبواب الاجتهاد أهمية إعمال الفكر والعقل وعدم قبول أي شيء مجردا من دليله، كما تتقوى لديه القدرة على التفكير المنهجي في كل شيء إذ لما كان علم الأصول علما يقوم على الاستدلال وطلب الدليل على كل دعوى فإنه يربي في الطالب والناشئة ملكة الاستدلال ويقوي فيه القدرة على الاحتجاج والنقد وفحص الآراء والأدلة وتمييز السليم منها من السقيم والقوي من الضعيف، ويكسبه منهج النظر والمناظرة(باب شروط العلة ومسالكها وقوادحها مثلا)، فيخرج الطالب من حال السلبية والتسليم بكل شيء من غير تمحيص ولا تدقيق ولا تحقيق، إلى حال يصبح لديه ذلك سلوكا حيا وميزانا صحيحا يتعامل به مع كل الأفكار والأحكام العلمية والعملية، وتنتظم حياته انتظاما منهجيا في الشرعيات والعقليات والعاديات، فيستفيد ويفيد.

2- تكوين ملكة الاجتهاد وترسيخها في النفس إذ من أهم الأبواب التي يدرسها الطالب في هذا العلم باب الاجتهاد والتقليد وحكمهما وصفات المجتهد وشروطه مما يؤدي به إلى التطلع باستمرار إلى اكتساب هذه المرتبة المطلوبة شرعا والمحمود أهلها، ومن ثم فإن هذا العلم يربي الطلبة على حب معالي الأمور وكراهية سفاسفها وحب الابتكار والإبداع والتنافس في إبراز المواهب والطاقات بشروطها العلمية وكراهية التقليد والتسليم بالأحكام الجاهزة، وينتج عن تدريس هذا العلم أن تتوفر الأمة على فئة خيرة من العلماء الربانيين المجتهدين القادرين على الإسهام في إيجاد الحلول لأزماتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وإخراجها من نفق التبعية المذلة؛

3- تقدير أثر الاجتهاد ودور المجتهدين في تقدم المجتمعات وفي بقاء التدين فيها وتجديده، وتنمية النشء على حب الاجتهاد والمجتهدين والتنافس في ذلك وتبني سياسات اجتماعية تقوم على رعاية الموهوبين وتشجيع المبادرات العلمية القائمة على شروطها والصادرة من أهلها وتخصيص مكافآت تشجيعية وتأسيس مؤسسات للبحث والاجتهاد في جميع التخصصات وفي جميع المستويات الدراسية ودعمها ماديا ومعنويا.

4- تقدير الاختلافات العلمية الواقعة بشرطها (أسبابها المشروعة) وفي محلها (منطقة الفروع الظنية القابلة لتفاوت الأنظار) والصادرة من أهلها (أهل العلم والتخصص)، ومعرفة قواعد التعامل مع الخلاف العلمي والمخالف المجتهد، فتتخلص الأمة من أمراض الجهل وتحقير المخالفين خلافا مشروعا وتتجاوز سلبيات التعصب الأعمى وتتخلص أيضا من استبداد من صار بالبطش والحمية أقوى.

خامسا – في باب التعارض والترجيح :

يمكن علم الأصول المدرس والدارس من مجموعة أهداف وأغراض تربوية نبيلة إن هي تحققت على وجهها الصحيح فإنها ستؤدي إلى تخليص الأمة من كثير من أزماتها وأمراضها وعاهاتها المزمنة التي استفحلت لما تم تحييد علم الأصول جانبا ؛ ومن جملتها:

1- إكساب المتعلم القدرة على دفع الشبه عن الشرع ورد طعن الطاعنين والمشككين فيه بالتعارض بين آياته وأحاديثه أو تعارضه مع العقل... وتنزيه الشرع عن ذلك بالحجج الدامغة والبراهين الملزمة، إذ ما أحوج الأمة اليوم إلى علماء في مستوى التحديات التي تواجهها في دينها ومقوماتها.

2- إكساب المتعلم القدرة على كيفية التفكير في إيجاد الحلول والمخارج من كل حالات التعارض والتعاند التي قد تعرض للناظر في قضايا العلوم ومسائل الاجتماع البشري سواء بالجمع إن أمكن، وإما بالنسخ والحكم للمتأخر، وإما بالترجيح وإما بالتساقط والمصير إلى حالة البراءة الأصلية والاجتهاد في الحكم من جديد.

3- تكوين ملكة النقد والتقويم والمقارنة بين الأدلة والموازنة بينها، وتدريب الفرد على صياغة حياته صياغة فيها الحرص على الدليل الأقوى والأتقى، وإكساب الطالب أدوات الترجيح بدليله وشروطه والأخذ بالأولويات في كل شيء باعتبار أن الشرع الحكيم جاء يوجه الناس للتي هي أحسن وأقوم وأهدى سبيلا، ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾(الإسراء : 9)؛ وعلم الأصول لا يعلمنا الترجيح بين الأدلة الشرعية فقط وإنما يعلمنا كيفية الموازنة بين كل المتعارضات في جميع مناحي الحياة الفكرية والاجتماعية؛ وهذا يمكن الأمة من تخريج جيل قوي ممتلك لقدرات عقلية في النقد العلمي الرصين والبناء، والتدبير الاجتماعي الناجح، وإيجاد مواهب عالية في حسن تسيير المجتمع وحسن تنظيمه باختيار الأحسن والأصلح والأنسب دائما.

سادسا – على مستوى المقاصد والمصالح :

يمكن استفادة مبادئ تربوية يفيدنا بها علم الأصول في التربية والتوجيه والإصلاح الاجتماعي ومن ذلك مثلا:

1- تنشئة أجيال مسلمة قوية الاعتزاز بدينها لأنه دين فيه كل ما يصلح حال الإنسان والمجتمع في الدنيا والآخرة، ويدفع عنه كل ما يفسد عليه هذه الحياة العاجلة والآجلة.

2- تعليم الناشئة حب الخير للناس

تتمة :10

من وظائف علم أصول الفقه...(تتمة)

اهتداء بصاحب الشريعة، وتغليب المصالح على المفاسد ، وتغليب المصالح الأقوى على الأضعف، وتدريبهم على اكتساب فقه الموازنة والترجيح الصحيح والمناسب.

3- تخريج أجيال صالحة في تفكيرها وسلوكها وعلاقاتها ومصلحة لأحوال قومها وأوضاع مجتمعها، محبة لأمتها وبلادها ، متحققة ومتخلقة بمبادئ الإسلام في رعاية المصالح ودفع المفاسد وفي ترتيب الأولويات بدقة بين الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وبناء تخطيطات اجتماعية دقيقة لمواجهة الأزمات والأمراض وفق قواعد علم الأصول في الموازنة بين المصالح والمفاسد والترجيح بينها وبين مراتبها وما يجب تقديمه وما لا.

وإجمالا فإن علم أصول الفقه واحد من أهم العلوم الشرعية التي تم إهمالها وزهد الناس فيها وجهلوا قيمتها وفوائدها في تكوين الفرد تكوينا إيجابيا، وتأهيل العنصر االبشري وتخريج العلماء والمربين الربانيين والمصلحين الاجتماعيين في مستوى التحديات التي تواجهها أمتنا، وإن الدارس لفلسفة هذا العلم ومقاصده وغاياته ليدرك حجم الخسارة التي تكبدتها الأمة لما حجبت هذا العلم من مواد التعليم العمومي وحرمت الطلبة من دراسته والتشبع بقيمه الإيمانية والعلمية والمنهجية والاجتماعية. وإن السبيل الأوجه لاستعادة الأمة وعيها هو في العودة إلى تدريس هذا العلم والوقوف عند مقاصده وفوائده في كل باب من أبوابه وتعميم تدريسه على كل التخصصات والشعب وفي كل مستويات تعليمنا من الابتدائي إلى الجامعة وتكوين مدرسين أكفاء بإمكانهم تحقيق غايات التربية والتعليم المقصودة في هذا العلم، ويكفي في القيمة التربوية والإصلاحية لهذا العلم أن يكون واحدا من أهم العلوم الشرعية التي تسعى إلى حفظ الدين من الضياع بالجهل أو التحريف، وحفظ أصوله وأدلته، وتقعيد القواعد والضوابط الضامنة لحفظ أحكامه من تلاعب المغرضين والطاعنين والمشككين فيه وواحداً من أهم العلوم التي تخرج للأمة جيلا من العلماء المجتهدين والمصلحين المتمكنين من هذا العلم وأدواته في النظر والمناظرة وفي الحجاج والاستدلال وفي تصحيح الآراء وتقويمها وفق موازين الشرع التي يستنبطها هذا العلم ويكون طلابه عليها.فهو علم بالدين وبالواقع وبكيفية تجديد التدين وإصلاح المجتمع، وهو وحده مدرسة إن أحسن استثمار مبادئه ومناهجه ومقاصده!!

لذا وجبت العناية بهذا العلم درسا وتدريسا واستفادة من مناهجه وقواعده في التربية والتوجيه وتنمية الإنسان المسلم تنمية متوازنة وسليمة وإصلاح المجتمع والأمة إصلاحا نافعا وشاملا وصادرا عن شرع الله ووحيه.

وأخيرا فليس ما ورد في هذا المقال إلا تنبيها لتأسيس دراسات جادة والشروع في إنجاز أبحاث متخصصة في الكشف عن أهمية هذا العلم في التربية والتوجيه والإصلاح والتنمية الحقيقية، وليس هذا المقال إلا حفزا لطلاب هذا العلم ومدرسيه لإيلاء هذا العلم أهمية قصوى والالتفات إلى الكفايات المطلوب التركيز عليها في تدريسهم لهذا العلم إجمالا ولمباحثه ومسائله تفصيلا، فلا سبيل للخروج بالدرس الأصولي من عقمه ومن عزوف الأمة عنه إلا تجديد بعده التربوي والإصلاحي والتركيز على ذلك بتكوين جيل من العلماء المجتهدين والربانيين القادرين على إصلاح حال الأمة وتجديد بعثتها ورسالتها في نشر الخير وتعميم الرحمة.

المجلس العلمي لمكناس في ذكرى وفاء لروح الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله تعالى في موضوع :

مجالس القرآن : الفكرة والمنهاج عند فريد الأنصاري

عام ونيف مر على رحيل الأستاذ والعالم الرباني المرحوم فريد الأنصاري رحمه الله تعالى وكأنه لم يرحل عنا، لم يرحل لأن الألسنة لا تزال تلهج بذكره، لأن العيون لم يجف دمعها بعد، ولأن القلوب لا تزال حية تذكر مواعظه، ولأن كتبه وآثاره الصالحة لا تزال ناطقة باسمه شاهدة بخيره وصلاحه، ولأن مشاريعه في التربية والإصلاح لا تزال حية تنتظر من يقوم بها، ولأن كل جنبات المجلس العلمي بمكناس ومساجد هذه المدينة وأرجائها تكاد تنطق قائلة : ها هنا كان العالم القرآني، من ها هنا مر فريد عالم الأمة وناصحها الفريد، وها هو ميراثه القرآني، فأين المقبلون؟!!

وقد عرف الأستاذ فريد بتعدد مشاريعه بين ما هو علمي (اهتمامه بتدريس الأصول والمقاصد والدراسة المصطلحية في أبعادها العلمية والإصلاحية وفقه العمران القرآني، والإشراف على البحوث العلمية الجامعية العليا...)، وما هو دعوي وما هو تربوي إصلاحي وهذا الأخير تجسد عنده في ثلاثة جوانب متكاملة: مشروع الفطرية، ومشروع العالمية، ومشروع المجالس القرآنية بمنهج التدارس والتداول الاجتماعي (الجانب التطبيقي).

وتقديرا لهذه الجهود الكبيرة والثمينة لهذا العالم الرباني ولمشاريعه القرآنية، خاصة مشروعه في التداول الاجتماعي للقرآن الكريم ومجالس القرآن، ووفاء لذكراه بمناسبة مرور سنة على وفاته نظم المجلس العلمي المحلي لمدينة مكناس يومين دراسيين في موضوع: "مجالس القرآن: الفكرة والمنهاج عند فريد الأنصاري رحمه الله" وذلك يومي السبت والأحد 19 و20 محرم 1432هـ الموافق ل 25 و26 دجنبر 2010م بالمركب الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس.

وقد توزعت أعمال اليومين الدراسيين على الشكل التالي:

اليوم الأول: نشاط علمي نظري قدم من خلاله الأستاذ الدكتور زيد بوشعرا المنذوب الجهوي للشؤون الإسلامية بالقنيطرة قراءة في مشروع فريد الأنصاري في التداول الاجتماعي من خلال مجالس التدارس للقرآن الكريم والتي ضمنها الأستاذ المرحوم في كتابه **"مجالس القرآن: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم : من التلقي إلى البلاغ"** وقبل ذلك تفضل الأستاذ الدكتور محمد السيسي رئيس المجلس العلمي المحلي لمدينة مكناس بإلقاء كلمة تقديمية عرف فيها بقيمة اليومين الدراسيين وأهدافهما وأهمية إشاعة ثقافة القرآن الكريم وتداوله اجتماعيا عبر الحفظ والتلاوة والتدارس الجماعي لربط الأمة بالله عز وجل وبدينه والإسهام في التنمية المنشودة للبلاد، كما عرف فيها بجهود الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله تعالى في خدمة القرآن الكريم والتربية والتوجيه الاجتماعي انطلاقا من ثوابت الأمة ومن منهج الرسول الكريم في التربية والإصلاح.

وفي قراءته لمشروع مجالس القرآن الكريم قدم الدكتور زيد بيانا لمفهوم المدارسة القرآنية وعلاقتها بالتفسير والتدبر ومشروعيتها ورسالتها في المجتمع وتجديد التدين والإصلاح، وصورها (فردية وجماعية، خاصة (مجلس الأسرة الأب مع أبنائه) وعامة في المساجد والمحاضرات...)، وقدم من جهة أخرى قراءة في خطواتها وضوابطها كما رسمها الأستاذ فريد، وبين آن مراحل وخطوات مجلس التدارس القرآني ثلاث هي :

الأولى: تلاوة القرآن بمنهج التلقي، فالقرآن لا ينبغي تلقيه كتلقي أي كتاب ولا قراءته كما يقرأ أي كتاب وإنما ينبغي تلاوته باعتباره كلام وخطاب رب العالمين الخالق الرازق وتلقيه باستشعار كل من القارئ له والمستمع أنهما مخاطَبان به كما خوطب به رسول الله ﷺ، وأن لحظة تلاوة القرآن إنما هي لحظة التعرض لنفحات الرحمة المهداة للإنسان وعليه التشبع بها ونقلها لسائر عباد الله حتى يدخل الجميع في رحمة الله وينجو من عذابه.ولذلك يلزم الإعداد والاستعداد بكل ما يلزم للتأدب مع الله وكلامه جسدا وروحا، ظاهرا وباطنا.

الثانية: التعلم والتعليم بمنهج التدارس: ذلك أن أفراد مجلس التدارس بعد أن يتهيأوا للتلقي بالتلاوة ينتقلون إلى تدارس القرآن الكريم بمنهج التدارس بقصد استمطار هداياته وتعلم أسراره وفوائده واستنباط أحكامه وتوجيهاته، وتعليمها إلى الآخرين وتداولها والتشارك فيها لأن التدارس عبارة عن تفاعل وتلاقح وتعاون جماعي. وهنا انبرى الأستاذ المحاضر إلى سوق مجموعة من الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرته ﷺ وعمل صحابته رضوان الله عليهم والأئمة والعلماء من بعدهم في مشروعية التدارس الجماعي للقرآن الكريم وفق ضوابط وشروط شرعية

الثالثة: تزكية الأنفس بمنهج التدبر: وفي هذه الخطوة وقف الأستاذ المحاضر عند مصطلح التدبر ودلالاته وعلاقته بالتفسير والتدبير وشروطه وضوابطه وغاياته التي من جملتها الوصول إلى تجديد التدين وتدبير المسلم لحياته وفق ما تم التوصل إليه بالتدبر، وتزكية النفس وإصلاح أمراضها وأمراض المجتمع، لأن من المقاصد الكبرى لرسالة القرآن الكريم هوالوصول إلى تطهير الإنسان وترقيته في مدارج والصلاح والخيرية والقرب من الله ، ولأن تعلم القرآن الكريم واستنباط هداياته ليس مقصودا لذاته وإنما غايته إصلاح أمراض النفوس والمجتمعات وجلب الرحمة والمصلحة للناس.

اليوم الثاني وكان نشاطه عبارة عن ورشة عمل غايتها تدقيق النظر في برنامج المدارسة القرآنية والبحث في سبل تفعيلها من خلال تحديد مفهوم المدارسة القرآنية ومراحلها ومقاصدها وأهدافها وكيفية تنزيلها في الواقع تنزيلا يحقق تعميم الانتفاع بالقرآن الكريم.

وسعيا لتحقيق هذا الغرض تناولت أعمال الورشة المراحل والخطوات الثلاث التي يلزم التدرج في إنجازها داخل حصة المدارسة القرآنية وهي: مرحلة تلاوة القرآن الكريم بمنهج التلقي، و التعلم والتعليم بمنهج المدارسة، ومرحلة التزكية بمنهج التدبر وهي مراحل مستنبطة من قوله تعالى : ﴿هو الذي بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾.

● على مستوى تلاوة القرآن الكريم من خلال منهج التلقي: وفيه اشتغل المتدارسون باقتراح الخطوات والضوابط اللازمة للتلقي الصحيح ومنها:

- حسن اختيار زمن المدارسة ومكانها بما يوفر الهدوء ويحقق الطمأنينة والخشوع والتدبر النافع.
- ضرورة التهيؤ البدني والنفسي والإيماني والمعرفي قبل حصة المدارسة والاستعداد الروحي لتلقي كلام الله عز وجل وخطابه للعالمين.
- ضرورة توفر شروط في القارئ للقرآن الكريم والمستمعين معا من طهارة و إخلاص وصدق وخشوع وتأدب واستعادة وحسن استماع وإنصات وتقدير للقرآن الكريم وتعظيم لمنزله الباري جل وعلا، وإتقان لقراءته وترتيله وفق قواعد الترتيل والتجويد القمينة بإيقاع التأثير في النفوس وإعدادها للتلقي والتنفيذ.
- ضرورة شيوع خلق المودة والرحمة والتعاون والتواضع والتقدير المتبادل بين المتدارسين، وخلق بذل النصيحة وقبول الانتصاح.
- على مستوى التعلم والتعليم بمنهج المدارسة: انتهى المتدارسون إلى جملة من الضوابط والإجراءات منها:
- أهمية الانطلاق من تفاسير العلماء السابقين والاهتداء بمنهجهم في استنباط الدلالات من خلال عرض يعد أحد الحاضرين ومن خلال إعداد الباقي.
- ضرورة التمكن من أدوات الفهم والاستنباط اللغوية والشرعية والعقلية والحرص على حضور مجلس المدارسة على أحسن صور الإعداد والاستعداد العلمي والمنهجي والأداتي.
- أهمية وجود مشرف على مجلس التدارس يمتلك أهلية علمية وخلقية وتربوية يقتدر من خلالها على توجيه مجلس التدارس نحو أهدافه المرسومة له
- التركيز في المدارسة على استنباط الهدى المنهاجي للقرآن الكريم واستنباط قواعد تساعد في إصلاح الأحوال وتزكية الأنفس، مع الحرص ما أمكن على تجنب الخلاف والمراء والجدال
- ربط الاستنباطات بالواقع المعيش وبقضايا العصر وبحاجات المخاطبين والأمة والتركيز على ما ينهض الهمم ويبعث على التفاؤل والخير...

● على مستوى التزكية بمنهج التدبر:

- ضرورة الحرص على تحقيق القصد من المدارسة وهو التعلم بقصد العمل والعلم من أجل التطبيق، والتحقق بقصد التخلق وليس القصد من المدارسة التعلم والعلم فقط أو من أجل الترف العلمي ، إذ لا قيمة لعلم لا يصحبه عمل وتطبيق وتخلق.
- ضرورة الانتهاء إلى استخلاص فوائد عملية ولو قليلة ولكن تكون قابلة للتطبيق وصالحة في ترقية الأحوال الإيمانية للمتدارسين وإصلاح حالهم وتصحيح تصوراتهم تدريجيا في الله والرسالة والحياة والإنسان والمصير وتصحيح سلوكاتهم تجاه الله والنفس والأغيار

وهكذا اختتمت أشغال اليومين بقراءة التقرير والتعقيب النهائي والإجابة عن بعض الإشكالات والتساؤلات العالقة واستخلاص النتائج النهائية من اليومين الدراسيين والتي تجلت في أهمية نشر كتاب الله وتوسيع نشر تداوله في الأسر والمجتمع، كما بين السيد رئيس المجلس العلمي عزم المجلس في مواصلة أنشطته في التعريف بمشاريع الدكتور فريد في التربية والتوجيه والإصلاح خاصة مشروعه في الفطرية والعالمية.

إعداد ومتابعة : الطيب الوزاني

فشل المناهج الوضعية وتألُّق منهج الإسلام

ذ. أحمد محمد المتوكل -تاونات

عاش العالم الإسلامي مدة طويلة ملتزما بمبدأ واحد، ومنهج واحد لا يحتكم إلا إليه، ولا يعول إلا عليه، ولا يستفتي في شؤون حياته وما بعد حياته غيرَه، ولا يفكر في حل لمشكلاته إلا على أساسه وبالاستمداد منه، ذلك المبدأ وذلك النظام هو الإسلام، الذي ارتضته هذه الأمة، وارتضاه الله لها وأتَم به عليها نعمته، ﴿اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾(المائدة : 3)، وكانت الأمة توقن بأنه سر قوتها، وينبوع سعادتها، وصانع حضارتها، ورافع ذكرها بين الأمم، ومحقق نصرها، والذي تحقق لها من ذلك فبسبب التمسك بهذا المنهج والاهتداء بهديه، وكل ضر أصابها، وكل هزيمة لحقتها، فبسبب التفريط في هذا المبدأ والبعد عن تعاليمه.

وكان الاعتزاز بمنهج الإسلام هو خُلُق المسلمين، حيث كان أساسا لتربيتهم، و برنامجا لسياستهم، وقانونا لحكمهم، ونظاما لتعليمهم، ودواء لأمراضهم، ومنهجا لاقتصادهم، بل معتمدهم في كل شيء، وتبدلت الأمور، وتبلَّدت العقول، ورانت الذنوب على القلوب، وأعمى حب الدنيا البصائر والأبصار، وغزا العالمَ الإسلامي زحف صليبي منظَّم عات حاقد كائد، بعدما صادف تخلفا في العلم، وجمودا في الفكر، وانحباسا وتقليدا في فقه الدين والعمل به، وركودا في التجديد والإبداع، وقصورا في التربية والتعليم، وانحطاطا في الهمم، وفسادا وانحرافا في الحكم، وخضوعا وتبعية تكان تكون عامة، وتبريرا وتزكية من كثير من العلماء ذوي الأطماع، وانحطاطا عاما عاما في كل ميادين الحياة الإسلامية، ودخل العدو الزاحف -في القرن الماضي- المتفوق في كل المجالات أرض المسلمين واستولى على خيراتهم واستعبدَهم، واتجه إلى تدمير العقائد والأفكار، وشل الإرادات، واستنزاف الطاقات، ونهب الثروات، وإفساد الأخلاق، وقتل الغيرة والمروءات، وزَعزَعة الثقة بهذا الدين، والتشكيك في القطعياتَ، والطعن في المسلَّمات، والقضاء على الآداب والتقاليد، بمعاول خفية، وبأساليب ماكرة، تخفى على العامة، ولا يتفطن لها إلا الأذكياء الألبَّاء، وربى تلامذة على نهجه وبعثهم ليتعلموا في بلاده،- وكان ذلك أهم ما قام به- فتشربوا فكره، وتلقفوا تقاليده، وخطوا خطوه، ونابوا عنه، وواصلوا المسيرة من بعده، وزادوا من عندهم، وتجرؤوا على ما لم يقدر عليه، ونشروا أفكاره، ودافعوا عن بقائه، وأشادوا به "وبإصلاحاته وخططه" وتبنوا المناهج الوضعية الدخيلة المستوردة من أرض غير أرضنا وقوم غير قومنا، المعادية للإسلام، القاضية على مبادئه، الناسفة لبنيانه، المضيعة لطاقاته، المفرقة لشمل المسلمين، واتبعوا مناهج فاسدة مفسدة ومفلسة كالاشتراكية والقومية واليسارية والرأسمالية والعلمانية والليبرالية والنزعات الوطنية والقومية...

فشل المناهج الوضعية

لقد جُربت في ديار المسلمين هذه المناهج الأرضية والمذاهب الوضعية، فما أفرزت إلا الأزمات والانهزامات والانقسامات، وتسلط الأعداء من كل مكان، فأفلست وانهارت كل هذه الأنظمة، وخصوصًا الشيوعية التي زعمت يومًا أنها ستغزو العالم، وترث الأديان، وتهزم الفلسفات، ولقد لقيت أولى هزائمها على أيدي المجاهدين المسلمين في أفغانستان، حيث انتصروا بأسلحتهم البسيطة وإيمانهم القوي على أعتى دولة ملحدة في التاريخ.

وشاخت مشاريع الأحزاب الوضعية الناقصة القاصرة التي تعاقبت على الحكم، وماتت وما بكى أحد عليها، وقضت نحبها كل الإيديولوجيات التي ورثت الاستعمار ولم تخلف من يرثها، وانتهى دورها، وسقطت قلاع الإلحاد واحدة بعد الأخرى، بدءًا بالاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، وانتهاء بألبانيا، والبقية تأتي بحول الله، و باءت كل التجارب الأرضية بالفشل الذريع، والسقوط المريع لأنها تجارب بشرية مشوبة بالنقص والجهل والهوى والنقص والضعف والعجز وقصر النظر(1). وملَّت الشعوب المسلمة حكم اللائكية، بعد أن فقس بيضها ولم يخرج إلا فراخ التبعية والتمزق والفقر والجهل والتخلف والفحش ما ظهر منه وما بطن، وتتابع سقوط الشعارات والأحزاب غير الإسلامية، وازدادت ثقة الناس في المقابل بأصحاب الفكرة الإسلامية، لأنها أدركت أنه لا يُخلصُ هذا الإنسانَ الحائر إلا المنهج الأصيل الصادر عن علم وحكمة وكمال وقدرة على أساس تحقيق السعادتين الدنيوية والأخروية.

لماذا فشلت الأنظمة الوضعية؟

فشلت الحضارة الغربية وأفلست، وفسدت مناهجها، وكسدت بضائعها، ونالت هزيمتها، لأسباب كثيرة منها :

لأنها سببت للإنسان الانحدار والاندحار حتى انحط في تصوره وذكائه وأخلاقه وهبط في علاقاته الجنسية إلى أدنى من البهيمة، وعطَّل وظائفه الأساسية، ولأنها سببت له جوعة روحية لم تُسكنها كل ضروب المتاع واللذائذ التي يعيشها، جوعة إلى إله واحد يتلقى منه غذاء روحه وشريعة فؤاده وشريعة مجتمعه على السواء.

ولأنها أورثته القلق والحيرة والشقاء والتعاسة والنكد والأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والجريمة، وأصبحت الإنسانية المادية اليوم في أمس الحاجة إلى ما يسعد نفسها، ويزيل قلقها ويُذهب حيرتها، فرغم ما تنعم به من التقدم المادي والتكنولوجي والصناعي والعلمي، وما تغوص فيه من كل ملذات الحياة، لم تجد السعادة التي تنشدها، والأمن الروحي الذي تطلبه.

ولأنها" كلها كانت مبتوتة عن الأصل الكبير الذي لا تقوم الأنظمة الاجتماعية ولا تعيش المبادئ والقيم إلا إذا انبثقت منه، وقامت عليه، الأصل الاعتقادي المرتبط بالله، والتفسير الكلي للوجود، ومركز الإنسان فيه، وغاية وجوده الإنساني... ومن ثم كانت قيما محدودة موقوتة لأنها في الأصل قيم مبتوتة....نبات شيطاني لا جذور له في أعماق الفطرة البشرية، لأنه ليس آتيا من المصدر الذي جاءت منه الفطرة البشرية. ومن أجل أنها لم تنبثق من ذلك الأصل، ولم تجئ من هذا المصدر، فإنها قامت على أساس مناقض لفطرة الحياة، ولفطرة الإنسان ولم تراع في الأسس التي قامت عليها، ولا في الوسائل التي اتخذتها، ولا في الطريق التي سارت فيه..... لم تراع في هذا كله احتياجات الإنسان الحقيقية المنبثقة من طبيعة تكوينه وأصل خلقته وحقيقة فطرته، وأهملت إهمالا شنيعا أهم مقوماته- التي بها صار الإنسان إنسانا-، ولم تهملها فحسب بل طاردتها في جفوة وعنف"(2)، ولأنها" تقوم على جهالة عميقة بالنفس البشرية وطبيعتها وتاريخها فضلا

تتمة: ص 14

مجرد رأي

منظومتنا التربوية إلى أين...؟!

منظومتنا التربوية والتعليمية منظومة ما زالت تعاني من العديد من المشاكل والمعوقات ولاتزال تستعصي على العلاج وما زالت تراوح سريرها فى غرفة العناية المركزة بالرغم من كل الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل من أجل إصلاحها وتقويم اعوجاجها بدءا من مناظرة إفران في أواخر ثمانينات القرن الماضي وانتهاءا بالبرنامج الاستعجالي الذي رصدت له أموال طائلة ومجهودات مضنية من أجل إصلاح ما يمكن إصلاحه بعدما تبين للمسؤولين بالدلائل والدراسات فشل كل ما سبقها من وصفات وحلول. وقامت الوزارة صادقة بدراسة نتائج خمس سنوات من مشروع ميثاق التربية والتعليم فكانت النتائج كارثية ومخيبة للآمال (أكثر من نصف تلاميذ الابتدائي لا يجيدون العمليات الحسابية الأربعة، ضعف مخجل في تعلم اللغة الفرنسية، تدنٍّ كارثي في مستوى استعمال اللغة العربية لدى التلاميذ في جميع المستويات الدراسية، وهلم ضعفا وضحالة).

فلا غرابة إذا والحالة كما ترى، أن تحوز مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، على المراتب الأخيرة إقليميا وعالميا حتى صرنا نقف إلى جانب دول ضعيفة جدا وبعضها لا نعرف حتى مواقعها على خريطة العالم. فمرتبتنا عربيا تأتي بعيدة بكثير عن مرتبة غزة وهي تحت الحصار والتجويع؟؟؟ وبالمناسبة ، فالجامعة الإسلامية بغزة جاءت الرابعة عربيا، والدراسة هذه قامت بها مؤسسة مختصة أوروبية.

إن المرء ليشعر حقيقة بالغبن وغير قليل من الحسرة والانكسار وهو يرى حالة التردي والسقوط التي وصلت إليها منظومة التربية والتعليم في بلادنا خاصة وفي البلاد العربية والإسلامية عامة. وأسباب ذالك في تقديري يمكن حصرها في أربعة أمور لا أقل ولا أكثر حتى لا تزداد الرقعة على الراقع أكثر مما هي عليه.

أولا: غياب العنصر البشرى "القوي الأمين" بالتعبير القرآني والذي تُوكَل إليه مهمة الإصلاح والمتابعة الأمينة والجادة والقوية لهذا الورش المهم والحيوي باعتباره مصنعا حقيقيا لتكوين الأجيال القادمة حتى تكون قادرة على مواجهة التحديات وتخطي العراقيل والصعوبات للوصول بهذا البلد الحبيب إلى بر الأمان بعد أن تعيد له مجده وكرامته وعزه عبر تاريخه الطويل والمفعم بالأمجاد والبطولات. فلا يمكن في أي حال من الأحوال إنجاح أي مشروع مهما اجتهد فيه واضعوه ورصدت له جميع الإمكانات المادية والمعنوية إذا لم تتوفر له العناصر البشرية الصادقة مع ربها والمخلصة لوطنها والغيورة على هويتها وأصالتها.

ثانيا : الانبهار الشديد وغير المبرر والمبالغ فيه بكل ما لدى الغرب دون تمحيص ولا تدقيق. فقد أصبحنا من فرط ضعفنا واستكانتنا وهواننا على الناس نستورد كل شيء تقريبا بدءا من موسى الحلاقة إلى المنظومة التربوية مرورا بمدونة الأسرة والسير. نعيش عالة على الآخر وكأننا أمة لا أصل لها ولا فصل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. مع أننا كنا إلى زمن قريب سادة العالم في العلم والمعرفة والفكر والإبداع فقد كان أطفال الأندلس يجيدون القراءة والكتابة بينما أمراء وقساوسة أوروبا يتهجون الحروف والقليل منهم من كان يتقن القراءة والكتابة. وكان الأعيان والأمراء يرسلون أبناءهم ليتعلموا في جامعاتنا شتى أنواع العلوم كجامعة قرطبة وجامعة القرويين والزيتونة والأزهر الشريف وغيرها من الجامعات التي كانت بحق مراكز عالمية تشع نورا وعلما وفكرا على ربوع الأرض (انظر الرسالة التي بعث بها ملك بريطانيا جورج الثاني إلى أمير المسلمين في بلاد الأندلس هشام الثالث).

ثالثا : عزوف فئة من أبنائنا عن طلب العلم والانخراط بجد وتفانٍ في العملية التربوية والتعليمية وانغماسها بدل ذالك في التقليد الأعمى وغير المنضبط لكل ما يأتي من الغرب بدءا من طريقة قص الشعر وتشكيله أو صبغه بمختلف الأصباغ والأشكال، إلى طريقة اللباس مرورا بثقب الآذان والأنوف من أجل تزيينها بأقراط مختلفة الأشكال والأحجام. ينضاف إلى كل هذا المسخ، تعاطي المخدرات بأنواعها وكل ما يستتبع ذالك من انحراف وقلة أدب وعنف ضد المدرسين والمدرسات واستهتار بكل ما تمثله المؤسسة التعليمية من انضباط واحترام وتقدير. لا شك أن المسؤولية عن هذا التردي السلوكي والأخلاقي مشتركة بين جميع مكونات المجتمع من أسرة وشارع وإعلام ومدرسة ومجتمع مدني. وأنا أزعم أن الذي يتولى كبر هذا الأمر بالدرجة الأولى هوالإعلام من خلال ما يبثه من برامج هابطة وأفلام وضيعة لا تزيد شبابنا إلا انحدارا وانحرافا وانبهارا بنمط عيش الشباب في بلاد الغرب فيتأسون بهم سلوكا وتفكيرا ولباسا وميوعة و... و... و.... حتى لا نقول أكثر. وإلا كيف نفسر عرض فيلم على إحدى قنواتنا بطله مراهق منحرف يحيل حياة أستاذته إلى جحيم يومي لأنها تجرأت وأخبرت والدته بانحرافه وعزوفه عن المدرسة؟! وفي الدخول المدرسي للسنة التالية أتحفتنا نفس القناة بفيلم أمريكي أبطاله عصابة من التلاميذ المنحرفين يحولون حياة أستاذهم إلى جهنم وبئس القرار لأنه أخبر بهم إدارة المؤسسة بعدما اكتشف صدفة أنهم يتاجرون في المخدرات داخل المؤسسة. فيحطمون سيارته ويغتصبون زوجته بعد أن أشبعوه ضربا ورفسا بالأقدام... ترى ما هي الرسالة التربوية التي يراد تمريرها إلى أبنائنا من خلال هذه الأفلام وأمثالها؟؟؟

لا يفهم من هذا إلا معاكسة القيم والسير في خط معاكس لخط التربية والتعليم؟!!

ذ. عبد القادر لوكيلي

الحركة الصوفية بالمغرب الأقصى: التأسيس والتقعيد

من القرن 6 هـ إلى القرن 9 هـ

نوقشت برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس رسالة دكتوراه بالعنوان أعلاه- بتاريخ الثلاثاء 22 محرم 1432 الموافق 28 دجنبر 2010- تقدم بها الطالب يوسف العلوي، وقد تكونت اللجنة العلمية من السادة الأساتذة: د. أحمد الأزمي مشرفا ومقررا، و د. عبد الإله بنمليح رئيسا، وعضوية كل من: د. مولاي هاشم العلوي القاسمي، و د. أحمد البوزيدي، ود. محمد المغراوي. وبعد المناقشة والمداولة قررت اللجنة العلمية منح الطالب يوسف العلوي ميزة مشرف جدا مع التوصية بالطبع. وبالمناسبة نهنئ الدكتور يوسف العلوي ونتمنى له مشوارا علميا موفقا؛ وفيما يلي ملخص التقرير الذي تقدم به الطالب أمام اللجنة العلمية:

إن البحث في تاريخ المغرب في العصر الوسيط الإسلامي يحتاج إلى طرق مواضيع جديدة للكشف عن جوانب لا يزال الغموض يكتنفها، خصوصا في المجالات الدينية والفكرية ومالها من تأثير على تطور الأحداث التاريخية، وباعتبارها- أيضا- العنصر المحدد في تشكيل ذهنيات المجتمع.

1- أهمية الموضوع:

لم يجانب الباحثان: دوبون وكوبولاني الصواب، حين خلصا في بحثهما حول الطرق الصوفية الإسلامية إلى أن التصوف يعتبر "المحرك الحقيقي للمجتمع الإسلامي".

من خلال عدة مستويات: دعوة وإقناعا، وتنظيرا وتقعيدا، وتنظيما وتأطيرا، في حركية واعية لا متناهية لرجالات التصوف بدأت تبلورها "كفئة ذات خصائص مميزة" نهاية القرن الخامس الهجري ومطلع السادس، وأخرجت شطأها واستغلظت طيلة القرنين السادس والسابع، واشتد عودها واستوت على سوقها في القرنين الثامن والتاسع، لتغدو في القرون اللاحقة: الملاذ الروحي الأمثل للمجتمع، والإطار التنظيمي الأقوى له، ويكون لها بالتالي الدور المحدد في الحراك الاجتماعي، لا نزال نشاهد أثره القوي حتى الآن مما جذب نخبة من الباحثين، كل من موقع تخصصه، وبحسب توجهه وأدواته للنبش في تاريخ الصوفية "الشائك" باعتبار التصوف ظاهرة مجتمعية متطورة متجددة مما يجعلها عصية على التحليل العلمي، لا يكون خائض غمارها إلا على غرر من استنتاج خلاصة، أو إصدار حكم قد يصدق على مجموعة أو فترة دون أخرى.

من جهته يحاول هذا البحث دراسة حركية فئة الصوفية داخل المجتمع فكرا وعملا، تنظيرا وتنزيلا في تفاعلاتها مع فئة العلماء والسلطة السياسية باعتبار فئتي الصوفية والعلماء قوتين متكاملتين من الناحية النظرية يشتركان في المنطلقات، ويتقاربان في الأساليب والوسائل. لذلك حاول الموضوع رصد وتحليل العلاقة بين الفئتين من خلال صيرورة طويلة للبحث عن أسس للتوافق والاندماج.

كما حاول البحث تتبع العلاقة بين الصوفية والسلطة وتطورها، والتعايش الحذر الذي كان غالبا على علاقة "مشروعين إصلاحيين" يتميز كل منهما بمميزات خاصة تمنحه شخصيته واستقلاليته.

إن محاولة التركيز على "المشروع الإصلاحي" الذي اعتمده رجالات الصوفية بالمغرب الأقصى، وإماطة اللثام عن أهم خصائصه وملامحه وأبرز توجهاته لم يقلل من اهتمامه بأدوار كل من السلطة والعلماء، لاعتقادنا أن التقاطعات والتجاذبات بين هؤلاء الفاعلين هي التي شكلت التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي لبلاد المغرب.

يهدف البحث إذن إلى محاولة القيام بدراسة تحليلية تطورية لحركة الصوفية بالمغرب الأقصى في العصر الوسيط الإسلامي لمحاولة التعرف على المجهود الذي بذله رجالات "الصلاح" لنشر مشربهم الصوفي، والمقاربات "البيداغوجية" التي اعتمدوها، والاختيارات التي أقروها والنتائج التي أفضت إليها هذه الاختيارات على المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية.

ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أن المناقشات الفكرية التي طبعت الفترة بين مختلف المشارب الصوفية، وبينها وبين الفقهاء والسلطة أخذت حيزا مهما من البحث، لكن دون أن يغرينا ذلك بالاسترسال وراءها، لأن إيرادها لم يكن هدفا في حد ذاته ولكن وسيلة لفهم الفعل التاريخي للصوفية.

2- فرضيات البحث ومن أهمها:

- أولا: هل اجتهادات الصوفية وإبداعاتهم كانت رد فعل على طغيان سلطة الدولة وتشدد الفقهاء وفقدان الأمن في المجتمع؟ وهل الصوفية إفراز لمجتمع "مأزوم" وبالتالي، هل التصوف وليد أزمة؟ أم هل التصوف باعتبار نشدانه "الإحسان" وتركيزه على الجانب "الروحي" للدين هو فريضة شرعية وضرورة نفسية لحفظ توازن الفرد والمجتمع؟

- ثانيا: ما هي أهم المراحل التي عرفها تطور "الحركة الصوفية" بالمغرب الأقصى؟ وما أبرز تمفصلاته؟

- ثالثا: ما هي المشارب الصوفية التي اختارها رجال "الصلاح" في المغرب لتحظى بإجماعهم، ويتوافقوا عليها مع النخبة العالمة؟ وما هي النتائج التي ترتبت على هذه الاختيارات في تشكيل ذهنية المجتمع وبالتالي رسم معالم التاريخ الفكري والذهني والثقافي والاجتماعي والسياسي للمغرب.

3- أهم خلاصات الأطروحة ونتائجها:

أ - إن الحركة الصوفية بالمغرب ليست وليدة لمجتمع "مأزوم" ولا نتاجا لأزمات اقتصادية وسياسية، ولم تنبن على ردود أفعال تجاه تجاوزات السلطة أو تشدد الفقهاء، بل هي حركة أصيلة في المجتمع المسلم، وتطور تلقائي للمنحى الزهدي الذي عرفه المغرب منذ الفتح الإسلامي، وإنما عرفت تطورات في صيرورتها التاريخية كانت استجابة لتغيرات اقتصادية وثقافية وسياسية أفرزت عدة إشكاليات، تعاملت معها الحركة الصوفية بانفتاح،

ومن خلال تكيف خارجي تميز باندماج قوي في شرائح المجتمع خصوصا المستضعفين لتقديم حلول لمشاكلهم اتسمت بقدر كبير من الواقعية والنجاعة لعل أبرزها تنظيم أبي محمد صالح لركب الحجاج المغاربة.

ب- وفيما يخص علاقة الصوفية بالسلطة: بدا لنا أنه من التسرع الحكم بأنها كانت "متشنجة" أو "مساندة" أو "مدجنة"، نظرا لطول الفترة المدروسة وتغير السياسات والمواقف.

لكن الموقف الذي ظل ثابتا طيلة هذه الفترة ولم يتغير مهما كان قرب الصوفية من السلطة أو بعدهم عنها هو "الاستقلالية"، هذا الثابت الذي حرص الصوفية عليه في "مشروعهم الإصلاحي للمجتمع" جاء منسجما مع نظرتهم للإصلاح المنطلق من منهج تربوي يجعل من إصلاح قلب المريد مناطا ووسيلة لإصلاح حاله، وبالتالي إصلاح أحوال المجتمع الخلقية والثقافية والاقتصادية والسياسية،

ج- أما عن علاقة الصوفية بالفقهاء فقد خلصنا إلى تهافت الفكرة القائلة بوجود صراع مذهبي بله صراع طبقي بين الشريحتين، وتأكد لنا انطلاقا من النصوص المختلفة وعبر أزمنة متعددة أنهما يخرجان من مشكاة واحدة هي الوحي قرآنا وسنة، وأن العلاقة بين الفئتين كانت علاقة تكامل شابتها بعض التشنجات بسبب اجتهادات قبلها طرف ورفضها آخر، دون أن تفرز اصطفافا للفقهاء هنا وللصوفية هناك، وهو ما مكننا من رسم خطاطة لسيرورة اندماجية بين الفقهاء والصوفية بدأت بتأسيس التوافق وانتهت بتحقيق الاندماج.

هذا التوافق كان على أساس إقرار اختيارات مذهبية تمثلت في ترسيخ العقيدة الأشعرية والفقه المالكي والمشرب الصوفي السني الشاذلي.

د- إن رأي بعض الباحثين في التصوف الذين يعتبرونه "المحرك الحقيقي للمجتمع الإسلامي" فيه قدر كبير من الصحة، والمجتمع المغربي خير دليل على ذلك، إذ منذ انطلاقها، لم تعرف الحركة الصوفية تقهقرا ولا تراجعا، بل تميزت بمجهودات لا نهائية لرجالاتها، وتكيفت مع مختلف الظروف لكنها لم تتوقف. وحتى في القرن الثامن الهجري الذي يصر عدد من الباحثين على تراجع الحركة الصوفية فيه بالنظر إلى غياب الأسماء الكبيرة لشيوخ الصوفية - في نظرهم - بينا أنه عرف إحدى أنشط مراحل التصوف بالمغرب من خلال مساهمات كبار العلماء في التأليف الصوفي، وأنه كان فترة حاسمة في "مغربة" التصوف على المستوى العلمي التنظيري أدى في نهايته إلى إقرار المشرب الشاذلي.

وختاما لا يمكن لهذا البحث ولا لصاحبه الادعاء بأنه أحاط بموضوع شائك كموضوع الصوفية بالمغرب في العصر الوسيط، فالتصوف ظاهرة مجتمعية معقدة ومتغيرة، والفترة طويلة وحبلى بالمتغيرات، والسفر عبرها طويل، والعقبة فيها كؤود.

التكامل والتوازن بين الروح والمادة من أهم خصائص شريعة الإسلام

عمر الرماش

إن للإسلام خصائص ومميزات عديدة وفريدة تجعله ينفرد بها ويتميز عن جميع النظم الوضعية في كل زمان ومكان وخصوصا في العصر الحاضر، ولعل من أهمها خاصية التوازن بين الروح والمادة.

فالإنسان الذي خلقه الله تعالى وكرمه واستخلفه في الأرض مركب من عنصري المادة والروح. فلا يمكن أن يحقق سعادته إلا بإشباع رغباته المادية والمعنوية بدون إفراط ولا تفريط. وهكذا فإن الإسلام كدين حياة جاء ليجمع في تزاوج خلاق وتوازن دقيق بين السماء والأرض والروح والمادة والدنيا والآخرة، وبصورة واضحة وتحديدا بين شقي الشريعة: العبادات والمعاملات. فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد يحث على العمل لكلتا الدارين (الدنيا والآخرة). قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾(القصص: 77).

وفي القول المأثور: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا". إن هذه الثنائية ليست ثنائية "فصل" وإنما ثنائية "تكامل" فالروح والمادة ليسا بالقطع بديلين وإنما وفقا لهذا النظام يشكلان عنصرين مترابطين متكاملين يدعم أحدهما الآخر ويقويه دون إفراط أو تفريط أو دون إخلال التوازن بينهما.

لقد أباح الإسلام للإنسان المسلم التمتع بجميع أنواع الطيبات من الرزق في هذه الحياة. قال تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾(الأعراف 32). كما حرم عليه الخبائث والفواحش الظاهرة والباطنة. قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾(الأنعام: 151). والرسول ﷺ إلى جانب عمله للدار الآخرة كان يتمتع بطيبات الحياة الدنيا فهو إذن قدوتنا في هذه الحياة لكي نوازن بين مطالب الروح وحاجيات الجسد دون إفراط أو تفريط. وكان حريصا في توجه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، وبين حظ أنفسهم وحق ربهم، وبين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى في بعضهم غلوا في جانب قَوَّمَه بالنصيحة والحكمة ورده إلى الحق والصواب والصراط المستقيم.

إن المسلمين اليوم قد غفلوا عن حقيقة التوازن بين المادة والروح حيث اهتموا بالجانب المادي وبالغوا فيه إلى درجة كبيرة وأهملوا الجانب الروحي بشكل مخيف فوقع خلل كبير في حياتهم. لقد اهتموا اهتماما كبيرا بالماديات واتبعوا الشهوات والملذات وكل زخارف الدنيا. وفي المقابل نسوا الدار الآخرة والعمل لها. وإن السبب في هذا الخلل والاضطراب يعود بالأساس إلى ضعف الوازع الديني وغياب الإيمان أو ضعفه وعدم إدراك حقيقة التوازن بين الدين والدنيا التي تميز شريعة الإسلام عن باقي الديانات قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾(القصص: 77).

نافذة المرأة المسلمة

من أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سيريلانكا التي في القلب سأحكي

"الدين يمشي بالأقدام وبالإكرام"

ما قاله الشيخ المغربي في درسه لما بعد العصر ونحن بقرية ماتيلا السريلانكية وهو الذي عودنا على وجبات دسمة من الكلام الطيب العظيم الدلالة في الدعوة وأهميتها الفاصلة في إقامة جيل النصرة كان كدبابيس حادة بوخزات متواصلة، الشيء الذي جعلنا و أخواتنا السريلانكيات نشحذ كل جوارحنا لامتصاص رسائله المحملة برجات للنفوس المرتكنة إلى إيمانها التقليدي الرتيب، كلام عجيب في الدعوة يبعث الحياة في الهمم الراكدة، ويدفعها دفعا إلى التساؤل الكبير :

كيف أكسر قوقعتي وأكون خادمة لديني وللدعوة، لأنال حظوة الجنة رفقة رسول الله ﷺ مصداقا لحديثه الشريف: «من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة»؟!

ماذا قال الشيخ؟؟

قال إن الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله غدت كلمة جوفاء تنطق حروفا لا نبضا، ولذلك غزت التعاسة والشقاء بيوت المسلمين، لأن الرزاق هو الله والمحيي هو الله والمعز هو الله وهو على كل شيء كل شيء، كل شيء، وبلا استثناء، قدير، لكن هذا اليقين انسلخ من قلوبنا فانسلخ بالضرورة من حياتنا، فبتنا نعقد الأمل بل اليقين في كل منافعنا ودفع الضر عنا على المخلوقات الضعيفة (إلا أن يقويها الله لحكمة ما كما الشأن الآن بالنسبة للدول التي تسمى "بالعظمى").

ومن يتشبث بالمخلوق فقد تشبث ببيت العنكبوت ولا شك.

وقد عرف الصحابة الفحوى الحقيقي للكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله وعظمة الله سبحانه ولم يخشوا إلا الله سبحانه فهان في عيونهم المخلوقون حتى ولو كانوا القياصرة . قال تعالى عن حالنا وحالهم ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾.

وتحدث الشيخ عن الأهمية القصوى للصلاة التي فرضت من فوق سبع سماوات وكيف أن حقيقتها كرست جملة وتفصيلا في حياة الصحابة بخشوعها وخضوعها فكانت المفتاح لخزائن الله عز وجل، حتى إنهم ما عادوا يمدون أيديهم لغيرهم إذ صدق توكلهم على الله عز وجل وفاضت خيرات الله في بيوتهم مأكلا ومشربا من مجرد كسرة خبز أو لحم أو جرعة حليب، عند الحاجة الملحة وإلا فزهدهم فيها جل عن الوصف. وكانت حقيقة الصلاة وهي تؤدى بالخشوع والخضوع وقُودَهم للتزود بطاقة الخشوع والخضوع لله عز وجل في سائر أعمالهم سائر اليوم فخضعت لهم رقاب الخلق حتى الأباطرة كما أسلفنا.

وتساءل الشيخ بحرقة كيف ضاعت حقيقة الصلاة في حياتنا فما عادت توسلاتنا وإلحاحنا ودموعنا في صلواتنا تمدنا حتى بجرعة ماء؟؟

ولا عجب كما قال الشيخ فقد كانت حياتهم داخل وخارج الصلاة شيئا واحدا، حياة خشوع وخضوع، كانت حياة وروح المسجد متواصلة 24 ساعة على 24 ساعة في حياتهم اليومية فأفلحوا في جميع المستويات لهذا قال فيهم الخالق سبحانه ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

كانت صلاة الصحابة حية وفيها روح وبخضوعهم فيها وتوكلهم التام في توجههم إلى الله عز وجل، قطعوا البحر بجيادهم فما ابتلوا، وحاربوا جحافل المشركين بعدتهم وعتادهم الثقيل وهم قلة مستضعفون في الأرض فانتصروا بجند لم يروها، ورمى الله عوضهم ونيابة عنهم لأنهم صاروا أولياءه،وهل يذل أولياء الله أو يهزمون؟؟

بالصلاة ألف الله بين قلوبهم وجعلهم بنيانا مرصوصا، ولو قيل لهم في زمنهم على سبيل المثال ((وهذا القول لي لا للشيخ)) إن موقعا مشعوذا اسمه "ويكيليكس" جاء بالفضيحة لهم وسيكشف عوراتهم للملأ لضحكوا طويلا وسخروا من دعاة جهنم الجدد كما سخروا من مشعوذي زمانهم، لأنهم أخلصوا النية لله تعالى وخضعوا له فطهروا خلوتهم وجلوتهم خوفا من الله عز وجل فكانوا كالشامة في الوجوه سيماهم على وجوههم من أثر السجود، أشداء في الحق ولا تأخذهم في الحق لومة لائم وبالتالي ما كان أحد يجرؤ على القدح في أخلاقهم.

وقد فرط المسلمون الجدد في صلاتهم فلم تعد تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ولجوا في طغيانهم يعمهون، يحسبون أعمالهم هينة وهي عند الله عظيمة فسلط عليهم الله عز وجل هذا الموقع ويكيليكس ليعري ازدواجيتهم، وينشر فضائحهم ومخازي الغيبة والنميمة التي جعلوها زاد لقاءاتهم مع أعداء دينهم في حق جيرانهم وإخوانهم باسم الصداقة والمصالح، الصداقة مع الذين قال فيهم الحق : ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾

ولو أن صلة المسلمين الجدد بالله كانت وثيقة لما خافوا ولا تملقوا ولا تقربوا للمخلوق الضعيف الذي لا يقدر حتى على رد مناوشة بعوضة إن سلطها الله عليه.

وحقا فما قدروا الله حق قدره فأتى الله بنيانهم المهزوز فخر عليهم وجعل الله كشف مستورهم على يد عبيد من طينتهم وتلك قصة أخرى سنتوقف عندها في حلقة قادمة بإذن الله تعالى.

وبالعودة إلى الشيخ الفاضل فقد واصل حديثه العجيب هذا وسط صمت نسائي أعجب، خضعت له الرقاب وسكنت له الجوارح ومالت له القلوب وتعطشت لفيض صدقه الأرواح.

وفي الحلقة القادمة سنكمل الحديث في تفاصيل هذا الدرس لكن دعونا ونحن على مشارف النهاية، نشير مجرد إشارة بالغة الأهمية إلى أن تأثير هذا الشيخ ما كان ليبلغ مداه، فيرج القلوب والأرواح بهذه المنطقة النائية المسكونة بآلاف التماثيل والأصنام وبنادق العسكر السريلانكي المشرك لولا صدقه مع الله وإيثاره لدينه على دنيا جاءته راغمة وهو مقاول ستجري بين يديه الأموال المشبوهة لو فتح لها يديه، ويحكى عنه في وسطه الضيق أن صفقة بالملايين وبلا عد جاء أصحابها يسعون إليه سعيا يساومونه فرفض رفضا قاطعا بل أكثر من ذلك تخلى عن مهنته برمتها تفاديا للمال الحرام وانخرط في أعمال تجارية محدودة جداً الدخل وآثر الفقر والحلال على الثراء والحرام.

وإن الحديث عن أخلاق هذا الشيخ الجليل ليأخذ منا صفحات وصفحات وهو المهموم بالدعوة وبأحوال الأمة جمعاء فلا تراه إلا حزينا منشغل البال، حتى أن الذين زاروه من معارفنا حكوا عن خارطة حائطية عملاقة للعالم يعلقها أمام ناظريه وبالقلم لا يفتأ يضع علامة على المناطق التي زارها داعية في العالم وتلك التي يجب زيارتها على عجل

ويروى أن امرأة فاضلة كانت هي المكلفة بإجراءات التأشيرة وكانت على خلق طيب خدومة جداً لكنها لم تكن تضع الحجاب وظل الشيخ أثناء كل سفر وهو الكثير الأسفار يتردد عليها في حدود ما يرضي الله ويكلمها باستعفاف وأبوية بكلام الدعوة، بكل لين ومحبة ووداعة حتى تحجبت واكتمل جمالها الخِلقي بمجمالها الخُلقي.

ويحكى أنه ذات مرة اشترى لها كيسا كبيرا من الفاكهة الغالية الثمن وحين سئل عن تصرفه قال حفظه الله :"الدين يمشي بالأقدام وبالإكرام".

وسنفصل أكثر في هذا الأمر رفقة الشيخ الجليل في درسه المؤثر في حلقة قادمة بإذن الله تعالى وحتى نلقاكم إن شاء الله سالمين، دام لكم حب الدين والعمل للدين والجهد للدين.

آيون... تائبون!

10– قدوة!

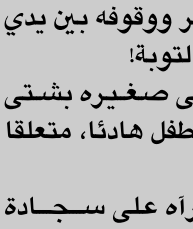

ذة. نبيلة عزوزي

– سأكون مثلك يا أبي حين أكبر!

أجابه ابنه ذو الأربع سنوات، حين سأله عما يفعل؟

كان يظن أن ابنه يلعب.. يقلد بطلا لمسلسل رسوم متحركة... يترنح.. يشتم... يشبع لعبته المفضلة (دُبّا كبيراً) ضرباً... لكن، الأغرب أن ينادي اللعبة (بابا)

كرر الأب سؤاله لابنه : ماذا تفعل؟!

فأجابه دون أن ينظر إليه :

– حين أكبر... سأكون مثلك يا أبي... سأسكر كثيراً.. سأعود بعد منتصف الليل... سأرعبك كما ترعبني... سأشبعك ضرباً كما تضرب أمي...!

ذهل الأب... خجل من نفسه... وقد أدرك لماذا ينفر منه ابنه... ولماذا يصرخ أثناء نومه من الكوابيس...؟!

استشرف المستقبل.. لم يستسغ مجرد تخيل ابنه يضربه... خلا إلى نفسه طويلا وقد أرقه كلام ابنه... تساءل : إلى أين والعمر يمضي؟! ثم ماذا بعد؟! وتذكر القبر ووقوفه بين يدي الله عز وجل... فقرر التوبة!

حاول التقرب إلى صغيره بشتى الوسائل... فأصبح الطفل هادئا، متعلقا بأبيه...!

بكى يوماً حين رآه على سجادة الصلاة يقلده... ويرفع كفيه ويدعو ببراءة : يا الله اغفر لي.. اغفر لي..!

ضمه إليه... وسأله :

– حين تكبر إن شاء الله... ماذا ستفعل يا بني؟!

فأجابه ببراءة :

– سأشتري لك (شوكولا).. سأكون مثلك يا أبي.. أصلي في المسجد... أقرأ القرآن... وأجري في الغابة..!!

افتتاحية (تتمة)

أن يعودو فورا ويستجيبوا لله عز وجل حين يدعوهم قائلا : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾**(آل عمران : 103).

وليس أفتك بهذه الأمة ـ العتيدة بتاريخها وأمجادها، القوية بخيراتها ورجالاتها، والمبشرة من ربها ورسولها بالخيرية والشهادة على العالمين ـ من الركون إلى الذين ظلموا، ولم يكن نهي الله جل وعلا عن هذا الركون خاليا من الحكمة حين قال تعالى : **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾**(هود : 113).

فهذه أمتكم أمة الإسلام ولزوم وحدتها فيها أقوم وأهدى، والعواصم من الفتن والقواصم فيها أحوط وأنجى لو وجد من يتمسك بالعروة الوثقى كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ﷺ قال تعالى: **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾**(الأنبياء: 93) وفي آية أخرى ختم بالأمر بالتقوى **﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾**(المؤمنون:52) للتنبيه أن تحقيق وحدة الأمة قرين بالتوحد على عبادة الله وحده واتباع شرعه والائتلاف مع جماعة المؤمنين وقرين بالحرص على تقواه ومخافته تعالى وحفظ بيضة الأمة، ولا تحفظ هذه البيضة إلا إذا استجاب المسلمون لنداء الرحمان حين نهاهم قائلا لهم : **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**(آل عمران 105)، وقرين أيضا بالتحقق والتخلق بأوصاف الأمة الجسد التي يعتبر أفرادها في علاقاتهم وتوادهم وتراحمهم «كالبنيان يشد بعضه بعضا» و«كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وإلى متى سيدوم هذا الخُلف والتفرق؟! ألم يقل الشاعر أحمد شوقي في بداية القرن الماضي:

إلام الخلف بينكم إلام
وهذي الضجة الكبرى علام؟!!

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

من آثار الحداء بالشعر عند العرب

أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال: حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي قال: كنت في البادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، وأضافني رجل منهم، فرأيت غلاماً أسود مقيداً هناك. ورأيت جمالاً قد ماتت بفناء البيت، فقال لي الغلام: أنت الليلة ضيف، وأنت على مولاي كريم، فتشفع لي؛ فإنه لا يردك. فقلت لصاحب البيت: لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد. فقال: هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي!! فقلت: فما فعل؟

فقال: له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة في يوم واحد، فلما حط عنها ماتت كلها، ولكن قد وهبته لك وأحلَّ عنه القيد. فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته، فسألته عن ذلك، فأمر الغلامَ أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقي عليه، فحدا الغلام.. فهام الجمل على وجهه وقطع حباله، ولم أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه، فوقعت لوجهي.. حتى أشار إليه بالسكوت.

● الرسالة القشيرية

عبادة التفكر

في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول طوبي لمن كان كلامه ذكراً وصمته تفكراً ونظره عبرة، وأن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر من التفكر. وكان أفضل عبادة أبي الدرداء التفكر، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبيين الحق من الباطل ويطلع بها أيضاً على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها. قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك، ويطلع بها أيضاً على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضاً على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالاً سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه.

● إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ابن عجيبة

من أوصاف الدنيا

وقال علي كرم الله وجهه فيما كتبه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها، وكن أسر ما تكون فيها، أَحْذَر ما تكون منها فإن صاحبها كلما أطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه

● إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ابن عجيبة

وقال ابن السماك في وصف الدنيا: طاعمها لا يشبع، وشاربها لا يروى، والناظر إليها لا يمل، ولم نر شيئاً أعجب منها ومن أهلها: يطلبها من هو على يقين من فراقها، ويركن إليها من لا يشك أنه راحل عنها.

● البصائر والذخائر للتوحيدي

مكانة اللغة من علم الدين

أول ما يلزمه الإخلاص وتصحيح النية؛ لقوله ﷺ : «الأعمال بالنيات» ثم التحري في الأخذ عن الثقات؛ لقوله ﷺ : «إن العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم»، ولا شك أن علم اللغة من الدِّين، لأنه من فروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة، أخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء، بسنده عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: لا يُقْرِئ القرآن إلاّ عالم باللغة. وأخرج أبو بكر بن الأنباري في كتاب الوقف عن طريق عِكْرِمة عن ابن عباس قال: إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشِعر ديوان العرب.

● المزهر للسيوطي

في آداب المتعلم والمعلم

للمتعلم آداب ظاهرة كثيرة منها:

1- تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى؛ وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف. قال ﷺ : «بني الدين على النظافة» وهو كذلك باطناً وظاهراً قال الله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس﴾ تنبيهاً للعقول على الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث. والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل.

2- أن لا يتكبر على العلم ولا يتآمر في العلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته. قال الشعبي "صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ". فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبُّره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فإن العلم سبب النجاة والسعادة. والعلم لا ينال إلا بالتواضع وإلقاء السمع قال الله تعالى : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهماً، ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة. فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله. ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها.

●إحياء علوم الدين للغزالي

وصية

قال يونس النحوي: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك وترجو صديقك، ولا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب، وليقل عيب الناس على لسانك.

● البصائر والذخائر للتوحيدي

من تعريفات البلاغة

قيل لعمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟ قال: ما بَلَغَ بك الجنّة، وعدلَ بك عن النّار، وما بصَّرَك مواقعَ رُشْدك وعواقبَ غَيِّك، قال السائل: ليس هذا أريد، قال: مَن لم يُحسنْ أن يسكُتَ لم يُحسن أن يَستمع، ومَن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول، قال: ليس هذا أريد، قال: قال النبي: إنّا مَعْشَرَ الأنبياء بِكَاءٌ أي قليلو الكلام، ومنه قيل رجل بَكِئٌ، وكانوا يكرَهونَ أن يزيد منطقُ الرجُل على عقْله، قال: قال السائل: ليس هذا أُريد، قال: كانوا يخافون من فتنة القول، ومن سَقَطات الكلام، ما لايخافون من فتنة السكوت ومن سَقَطات الصمت، قال السائل: ليس هذا أريد، قال عمرو: فكأنَّك إنّما تريد تخيُّر اللّفظ، في حسن الإفهام، قال: نعم، قال: إنك إنْ أُوتيتَ تَقريرَ حُجّة اللّه في عقول المكَلَّفينَ، وتخفيفَ المَؤُونة على المستمعين، وتزيينَ تلك المعاني في قلوب المريدينَ، بالألفاظ المستحسَنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً في سُرعة استجابتهم، ونَفْيِ الشّواغلِ عن قلوبهم بالموعظة الحسنة،على الكِتاب والسّنّة، كنْتَ قد أُوتيتَ فَصلَ الخِطاب، واستوجبتَ عَلى اللّه جزيلَ الثّواب.

● البيان والتبين للجاحظ

فشل المناهج الوضعية وتألُّق منهج الإسلام (تتمة)

على الجهالة العميقة بالحقيقة الكونية، وتفسير الكون والحياة(3)، ولأن النظم الاجتماعية والمناهج الفكرية والمذاهب الوضعية والبرامج السياسية الموجود في البلدان الإسلامية" لم تنبثق من أصلها الواحد الصحيح، ومن ثم لم تعط الإنسانَ التفسير الواحد الصحيح لحقيقة هذا الوجود وعلاقته بخالقه، ولحقيقة هذا الإنسان ومركزه في هذا الوجود، ولغاية وجوده الإنساني ووسائل بلوغها المشروعة"(4). وتنتظر البشرية الحل الإسلامي

بعد فشل هذه المناهج أضحت قلوب الناس حائرة تبحث عن منقذ وتنقب عن مخلص وعن منهج تسعد به، بعدما ذاقت المر والعلقم من جراء المادية المُجحفة والإباحية المسرفة فلم تجد إلا الشقاء والتعاسة، وبعدما عاشت كثيرا من التجارب فما وجدت إلا سرابا وخرابا ويبابا، ولا زالت تبحث عن مخلِّص بخصائص و"سمات وملامح معينة تطلبها فيه، وهذه السمات والملامح المعينة لا تنطبق على أحد إلا على هذا الدين! فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج، نستمد نحن اليقين الذي لا يتزعزع، في أن المستقبل لهذا الدين، وأن له دورا في هذه الأرض هو مدعو لأدائه- أراد أعداؤه كلهم أم لم يريدوا- وأن دوره هذا المرتقب لا تملك عقيدة أخرى- كما لا يملك منهج آخر- أن يؤديه، وأن البشرية بجملتها لا تملك كذلك أن تستغني طويلا عنه"(5).

المستقبل للإسلام؛ لأنه الدين الذي حفظ الله به الأرواح والأنفس المعصومة، وصان به الأموال والأعراض والعقول، حين حرم قتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، وحين حرم انتهاك الأعراض وتلويث النسل، وحين حرم تعاطي كل ما يقوض سلامة وصحة العقول من المخدرات والمسكرات وما في معناها، وحين منع أكل أموال الناس بالباطل بكل صوره وألوانه حفاظاً على سلامة البناء الاجتماعي والاقتصادي للناس، ولكيلا تهلك وتسحق الطبقات الضعيفة تحت معاول الأثرة البغيضة، والجشع المفسد للعقول والقلوب والأوضاع، وكل ألوان التكثر بالباطل والتشبع بالحرام، ولأنه هو الذي يحقق كل هذا وينقذ الناس مما هم فيه من تعاسة وشقاء وحيرة، ولأن فيه علاجا ناجعا لأدوائنا المادية والمعنوية، وحلا حاسما ومخلصا من المشاكل والأزمات.المستقبل للإسلام لأنه منهج حياة ولأنه يشتمل على كل النظم" والمقومات المُنظِّمة لشتى جوانب الحياة البشرية، الملبية لشتى حاجات الإنسان الحقيقية، المهيمنة على شتى أوجه النشا ط الإنسانية(6)، ولأنه يحتوي على خصائص الشمول والواقعية، و"حاجة البشرية إلى هذا المنهج أكبر من حقد الحاقدين على هذا الدين"(7).

1- انظر كتاب: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا للدكتور يوسف القرضاوي

2- المستقبل لهذا الدين سيد قطب: 49-48.

3- المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 50

4- المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 53-52 8 المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 8

5- المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 5

6- المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 8

7- المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص: 89

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

11— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

قل... أو قل... واعرف معنى ما تقول

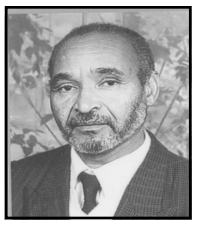

د. الحسين گنوان

1- قل فرق بفتح الراء، أو فِرق بكسر
2- الفِرق بكسر الفاء، أو الفُروق بضمها ممدودة
3- الفَرْق بفتح الفاء، أو الفِرق بكسرها
4- ... الفِرقة بكسر الفاء أو الفُرقة بضمها..

تحت هذا العنوان ناقشنا في الحلقة الماضية (المحجة عدد 349) الاستعمال الخاطئ بين الفِرق بكسر الفاء، والفروق بضم الفاء والراء (الممدودة). وقبل الانتقال إلى مفهوم آخر الذي يخطئ فيه البعض، نوضح بإذن الله جوانب من هذا الموضوع. ذلك أن كلا من الفِرق والفروق ينتمي إلى أصل واحد هو (فَ ر ق) وهذا الأصل عندما نضيف له الحركات للحصول على صيغة الفعل الثلاثي المجرد فإننا نحصل على صيغتين فَرَق بفتح الراء، وهذا هو أصل ما ناقشناه، وفِرق بكسر الراء وله مجال آخر بخصوص الدقة في التعبير عن المعاني في اللغة العربية، لمعرفة ما يترتب عن ذلك من أمور إيجابية إن احترمت القواعد، أو سلبية إن تم الترخص فيها هو ما يلي :

1- أن الحركة قيمة خلافية ونعني بهذا أن تغيير حركة وسط الكلمة أو غيرها يعطي للكلمة معنى آخر غير الذي فهم منها أولا، ومن ذلك، فَرَق بفتح الراء وفِرق بكسرها، في المعجم الوسيط.

أ- فَرَق بين الشيئين يفرُق فرْقاً، وفُرقاناً : فصل وميز أحدهما من الآخر، وفَرق بين الخصوم : حكَم وفصل...

ب- فَرِق يفْرَقُ فَرَقاً : جزع واشتد خوفه وفي التنزيل العزيز ﴿ولكنهم قوم يفْرَقون﴾.

ويقال : فَرِق منه يفْرَق (خاف) وفرِق عليه أشفق فهو فَرِقٌ»(المعجم الوسيط مادة فرق).

ومن هذا القبيل : الفَرْق، بفتح الفاء وكسرها وسكون الراء فالفَرق بين الأمرين : المميز أحدهما من الآخر. و الفَرْق بكسر الفاء : الفَلْقُ من الشيء إذا انفلق (أي انشق يقال فلق الشيءَ : شقه) في التنزيل العزيز : ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرْق كالطود العظيم﴾.

وإذا ما وضعنا حركة مكان السكون في الكلمة نفسها (الفرق) يصير المعنى شيئا آخر. قال «والفِرَق» بفتح الفاء وكسر الراء أو ضمها : من الرجال : الشديد الفزع جِبلّة» بمعنى "أنه خواف بطبعه، والفِرقة بكسر الفاء : الطائفة من الناس، في حين أن الفرقة بضم الفاء : هي الافتراق. والفاصل بين المعنيين هو تغيير الحركة(انظر المعجم الوسيط و ل ع مادة فرق).

هكذا نلاحظ أن مادة كلمة واحدة أعطتنا ستة معان بتغيير الشكل فقط، أو تغيير الشكل وزيادة تاء الثأنيث في آخر الكلة كما هو الشأن بالنسبة (للفرقة)، وثمة أمثلة أخرى لا يتسع لها المقام، وهذا ما نعنيه بقولنا أن الحركة قيمة خلافية.

2- أن الكلمة الواحدة يمكن أن ترد في أكثر من سياق بمعان متنوعة، ونمثل لهذا بكلمة «فريق» التي من معانيها ما يلي :

أ- الفريق : الطائفة من الناس (وهو) أكبر من الفرقة.

ب- والفريق : : المفارق (مثل فريق الخيل وهو) سابقها.

وفي هذا المعنى يقول الزمخشري «وهو أسرع من فريق الخيل، وهو سابقها، فعيل بمعنى مُفاعل، لأنه إذا سبقها فارقها»(أساس البلاغة مادة فرق).

حـ- والفريق : رتبة من رتب الجيش العليا (محدثة).

د- والفريق : من الطريق : الموضع الذي يتشعب منه طريق آخر.

ويبدو أن فريق يجمع على أفاريق. يقول ابن منظور : «وفي الحديث : أفاريق العرب، وهو جمع أفراق، وأفراق جمع فرقة..»(ل ع 10 مادة فرق).

وكل هذه الأسماء تمت بصلة ما إلى دلالة الأصل «ف ر ق».

3- إن الكلمتين اللتين نحن بصدد مناقشة دلالتيهما (الفرقة والفروق) تمثلان رقمين ضمن عدد من الكلمات الدالة على مسميات في شكل مجموعات ذات وظائف دلالية عددية أو اجتماعية متنوعة، ومن هذه الكلمات ما ياتي :

- الفرقة (بكسر الفاء وسكون الراء) : اسم لجماعة متفرقة من الناس بواسطة علامة التأنيث، لأن الاسم يكون للجمع بالتأنيث كالمعتزلة والجماعة.

- والعصابة من الخيل والرجال والطير : من الثلاثة إلى العشر..

- والمعشر : الجماعة العظيمة، سميت (بذلك) لبلوغها غاية الكثرة

- والنفر : من الثلاثة إلى التسعة، ولا يستعمل فيما فوق العشرة.

- والفئة : هي الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد.

- والملأ : الاشراف من الناس، وهو اسم للجماعة كالرهط والقوم.

- والفريق : الطائفة من الناس وهم أكثر من الفِرْق»(الكفوي 685 و ل ع 10 مادة فرق).

هكذا نلاحظ أن لكل اسم من الأسماء أعلاه وظيفته الدلالية العددية فقط مثل العصابة، والنفر، أو العددية والاجتماعية، كالفرقة، والمعشر، والفئة، والملأ، وثمة تفاوت في دلالة هذه الكلمات اجتماعيا كما هو واضح في التميز بين الفريق والفرقة، من حيث العدد.

ويمكن أن نسجل بخصوص أهمية هذه الكلمات أمرين :

أولهما : أن معظم هذه الكلمات واردة في القرآن الكريم مثل الفريق والطائفة، والمعشر، والملأ... فقد وردت كلمة الفريق في القرآن الكريم تسع عشرة مرة أربعة منها بصيغة المثنى والباقي بصيغة المفرد. ووردت الطائفة أربعا وعشرين مرة، أربعة منها بصيغة المثنى، والباقي بصيغة المفرد. ولذا فسوء فهم إحدى هذه الكلمات في سياق معين يعني تكرار ذلك الخطأ بقدر ورود تلك الآية في كتاب الله عز وجل، وهذا مكمن الخطر.

ثانيهما : أنه ينبغي فهم دلالة كل فرع متفرع عن شكل معين لذلك الأصل الموحد المادة، فقد مر بنا أن سجلنا أن فَرَق بفتح الراء كان مضارعها يفْرُق بضم الراء، والمصدر فرْقا وفُرْقاناً في حين أن مضارع فرِق بكسر الراء هو يفْرَق بفتحها والمصدر هو (فرَقا)، وبين الفرعين أي المصدرين (فرقاً) و(فرْقاً وفرقانا) في المعنى فأحدهما وهو (الفَرَق) يدل على الخوف وهو ضعف، في حين أن الآخر (فرْقاً) وفرقانا يدل على القوة، ويكفي الفُرقان أن يكون اسما من أسماء القرآن يقول ابن منظور : «والفرقان، القرآن، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان، ولذا قال الله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾»(ل ع 10 مادة فرق).

اللهم هيّئ للانسانية من يسوسها بالفرقان آمين.

بِنَبْضِ القلب

داء فقدان القناعة

تضطرب البوصلة، ويضيع الاتجاه في خضم تماوجات الحياة المبصومة بحب المادة، والاستماتة في طلبها... كلما تأملت هذه النرجسية التي باتت تطبع حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكذا الثقافية، أتساءل إلى أي حد أثرت فينا خطب الساسة والمثقفين الذين يريدون عبثا زرع قيم المواطنة في نفوسنا، غارقين في الأنا والنرجسية إلى أبعد الحدود... لقد ضرب فيروس داء فقدان القناعة كل مقومات المناعة الوطنية، حتى بات الضمير الحي عملة نادرة.. فهذا طبيب يرفض إجراء عملية لمريض في حالة حرجة ما لم يؤد القدر الواجب في حقه، وذاك قاض يُحوِّر محتوى الحكم ويقذف ببريء إلى غياهب السجون، كما أن فئة من الأساتذة الجامعيين تبتز طلبتها في امتحانات الشفوي، وهلم جرا... يتساءل المرء ماذا ينقص هؤلاء حتى ينحون هذا المنحى؟! أهو المال؟ فهم يملكون منه الكثير، أم هناك سبب آخر ولّدَ عندهم الجشع وقلة القناعة؟... لا أريد أن أنقب عن الجواب بقدر ما أريد لفت انتباه القائمين على المنظومة التربوية في المخطط الاستعجالي الذي تنفق عليه الدولة ملايين الدراهم، عن مقدار الكم القيمي الذي يختزنه هذا المخطط، لأن ضعف القيم الدينية والأخلاقية هو أساس كل البلايا التي يعاني منها الوطن والمواطن، ويضعف فينا مقومات المناعة ضد الارتشاء واستغلال النفوذ... إن أي برنامج تربوي مهما أنفق عليه من أموال يبقى مجرد كلام أكاديمي للاستهلاك ما لم يتضمن حيزا هاما لمعالجة الاختلالات القيمية داخل الإنسان المغربي، حينها يمكن الكلام عن إصلاح الإدارة وإصلاح القضاء وتخليق القطاعات و... و...

ذ. أحمد الأشهب

إصدارات

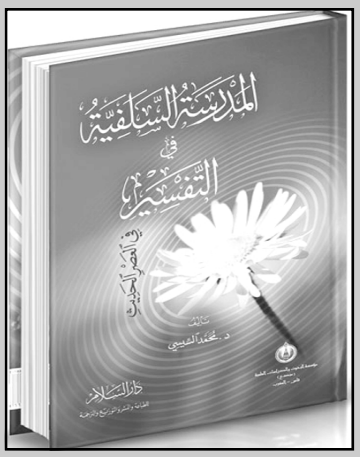

صدر للدكتور محمد السيسي كتاب : "المدرسة السلفية في التفسير في العصر الحديث" عن مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) فاس ودار السلام في طبعته الأولى لعام 1431هـ/ 2010م.

وقد جاء الكتاب في بابين وستة فصول :

تناول الباب الأول المدرسة السلفية في التفسير في العصر الحديث من حيث مفهومها ومصادرها ومعالمها المميزة لها وبواعث ظهورها في العصر الحديث.

أما الباب الثاني فجعله المؤلف عبارة عن دراسة تطبيقية من خلال تفسير المنار باعتباره نموذجا لهذه المدرسة فقدم لهذا الباب بتمهيد عرف فيه بأعلام مدرسة المنار خاصة محمد عبده، ورشيد رضا، وتفسيرهما المعروف بتفسير المنار، في حين خصص الفصل الأول لاستجلاء معالم التفسير السلفي في هذا التفسير، سواء على مستوى قواعد التفسير أو على مستوى إعجاز القرآن ومقاصده، أو على مستوى التفسير الموضوعي.

وجعل الفصل الثاني في رد الشبهات وبيان موقف هذه المدرسة من الفرق الإسلامية والعقائد الضالة، مثل الشبهات حول الرسول والرسالة، وحول التشريع الإسلامي، والرد على المعتزلة والشيعة والصوفية، والموقف من الفرق الضالة كاليهود والنصارى والبابية والبهائية والقاديانية.

أما الفصل الثالث فتم تخصيصه لبيان اهتمام الاتجاه السلفي من خلال تفسير المنار بقضايا المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

والفصل الرابع خصصه المؤلف لإبراز اهتمام مدرسة المنار السلفية بالإصلاح الاجتماعي من حيث تشخيص أمراض الأمة وتحديد أسبابها ووصف سبل الإصلاح، وبيان أهم العوائق التي تعوق تحقيق هذا المشروع.

وقد ختم المؤلف كتابه بخاتمة جمع فيها أهم خلاصاته واستنتاجاته وذيله بفهرس للمصادر والمراجع.

الـوفـاق الـكـبـيـر

أ. د. عماد الدين خليل

لقد جاء الإسلام لكي يحقق أقصى درجات الوفاق بين الإنسان وبين العالم والكون، بما يتضمنانه من سنن ونواميس.. وذلك من خلال التوجه المشترك الذي يؤول إلى تجميع الطاقات وعدم تبعثرها.. تماما كالعدسة اللاَّمة التي تجمع الأشعة الباهتة في بؤرة واحدة وتمكنها من الإحراق!! إن هذا الوفاق هو خطوة حاسمة باتجاه التحضر أولاً، وباتجاه إغناء المعطيات الحضارية ورفدها بالمزيد من الإبداع من جهة أخرى..

والحقيقة أننا ننسى في كثير من الأحيان أن دائرة حريتنا محدودة فيما نقدمه من أفعال وما نتخذه من مواقف ونلتزمه من أهداف.. وإننا فيما وراء ذلك محكومون -لحسن الحظ- بسنن ونواميس إلهية تفوق طاقاتنا جميعا، وبدونها لا يمضي حق وعدل، ولا يستقيم نظام كوني، ولا وجود بشري، ولا تتحقق حكمة الله سبحانه من تسيير الكون والخلائق جميعا وفق طرائق محددةٍ منضبطةٍ تؤول بهم جميعا إلى الأهداف التي رسمها علم الله المطلق، ودفعتهم إليها إرادته التي لا راد لها.. وهاكم بعض الآيات التي تعرض علينا المسألة في أبعادها المتكاملة ومن زواياها المختلفة ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الارض من دابة، والملائكة، وهم لا يستكبرون﴾(النحل : 49) ﴿ولله يسجد من في السماوات والارض طوعا وكرها﴾(الرعد : 15) ﴿وله ما في السماوات والارض، وله الدين واصبا، أفغير الله تتقون﴾(النحل : 52) ﴿تسبح له السماوات السبع والارض، ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾(الاسراء : 44) ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكثير من الناس حق عليه العذاب﴾(الحج : 17) ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾(الزمر : 59- 60) ﴿وله من في السماوات والارض كل له قانتون﴾(الروم : 26) ﴿.. ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾(المؤمنون : 71)..

ولو أننا تأملنا قليلا موقفنا عبر الكون، لرأينا أننا مجبرون -بالحق والعدل والنواميس- وباعتبارنا جزءا من خليقة الله شئنا أم أبينا، في مساحات واسعةٍ حاسمةٍ من وجودنا : أننا مجبرون على انْ نولد ومجبرون على أن نموت.. أننا مجبرون على أن نبعث وأن نحاسب على أعمالنا وأن نساق إلى جنة أو إلى نار وفق هذا الحساب العادل المحفزّ.. إننا مجبرون على أن ننتمي إلى هذا الإقليم أو ذاك، وإلى هذه القبيلة أو تلك الأمة، وإلى هذا الجنس أو ذاك، وإلى هذا اللون أو ذاك.. مجبرون كذلك على أن نخضع لمتطلبات حياتنا البيولوجية والحسية، وعلى أن نتقلب في تجاربنا النفسية بين الحزن والفرح والغم والانشراح والخوف والطمأنينة والتمزق والتوحد.. وفوق هذا وذاك فإننا مجبرون على حمل ملامحنا الشخصية المتفردة، وسماتنا الخاصة، وبصمات أصابعنا.. وبدون هذه الالتزامات الحتمية تتبدد الحياة وتفقد وحدتها وتماسكها ومعناها.. بدون هذا (الجبر) تضيع البشرية ويحدث التناقض في النواميس، وتختفي قيم الحق والعدل الأزلية..

لكن الله سبحانه منحنا -من جهة أخرى- مساحةً واسعةً من الحرية والاختيار لكي يميزنا عن سائر خلقه ويفضلنا على العالمين.. تلك المساحة التي تمتد -هي الأخرى- إلى آفاق بعيدةٍ : الموقف الذي نتخذه من العالم.. الأعمال والأهداف والمعطيات التي نقدمها في الحياة.. الحرية التي تقف بالإنسان والأمم والشعوب والحضارات على مفترق طريقين : **فإما أن تكون مواقفنا وأعمالنا وأهدافنا منسجمةً مع نواميس الكون وسنن الحياة، متوافقةً معها، مما يترتب عليه إنجاز حضاري أغنى، وتوحد بشري أشمل، وسعادةً نفسية أكثر عمقا، ومصير في الأرض والسماء أشد توافقا مع مهمة الوجود البشري في الأرض،** وهذا ما سعت الأديان لتحقيقه في العالم، وما يسعى الإسلام، وسيظل، من أجل تحويل البشرية كلها إليه ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾(الأنفال : 39).. **وإما أن تجيء هذه المواقف والأعمال والأهداف منشقة، بالقدر الذي منحت فيه اختيارها بطبيعة الحال، عن نواميس الكون وسنن الحياة، مرتطمةً بها، الأمر الذي يترتب عليه إنجاز حضاري متفكك، وتمزق بشري شامل، وشقاء نفسي عميق، ومصير سيِّئٌ في الدنيا والآخرة، يند عن طبيعة الدور الذي بعث الإنسان إلى العالم لأدائه، ويجيء مكافئاً لعصيانه وتمرده ورفضه أداء المهمة.. وهذا ما سعت المذاهب الوضعية، وتسعى لتحقيقه في العالم وتحويل البشرية كلها إليه.**

وهكذا فإن القرآن الكريم، في حكمه على أدوار الأمم والشعوب والحضارات، إنما يتخذ هذا المقياس الكوني المصيري الحاسم في تحديد مدى توافق التجربة البشرية مع النواميس أو ارتطامها، ويدعونا إلى مواقع الانسجام والتوافق، نافخاً فينا روح العمل والإبداع، مستقطبا ممارساتنا ومعطياتنا في الهدف الواحد الشامل الذي أعلنه الله سبحانه ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾(الذاريات : 56).. **وليس مفهوم العبادة هنا مساحة ضيقة لا تتجاوز دائرة (الشعائرية) و(الاتصال الروحي بالله).. إنه تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء، وتغدو أشبه بالبرنامج الشامل الذي ينظم فاعليات الجماعة البشرية في الأرض، ويمنحها معنى، ويسير بها إلى هدف واضح مرسوم.. إنه يمنح التجربة الحضارية طابعها الخاص ويعطيها الدافع والمبرر، وينفخ فيها روح الإبداع والابتكار والتطور الدائم الفعال..** كما أنه يتجاوز بها السفوح الدنيا للنشاط البشري إلى القمم التي تليق بمكانة البشرية في ساحة العالم، وبهذا تسقط ابتداء كافة السلبيات التي يمكن أن تعلق بأي نشاط حضاري لا يعتمد برنامجا شاملاً، ولا يسعى إلى هدف واضح، ولا يلتزم أخلاقية الإنسان في حواره مع خالقه جل وعلا ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾(الأنبياء : 16- 18).

بارقة

المبتدأ سيّئ والخبر أسوأ

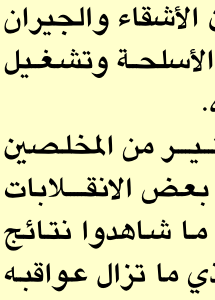

أ.د. عبد السلام الهراس

سألت أحد كبار كتابنا عن أحوال بلده وكانت في بداية ما أصابها من فتن وكنت على عجل استعداداً للسفر فرجوته أن يختصر لي وصف الحالة في مبتدإ وخبر فأجابني على البديهة المبتدأ سيئ وخبرُه أسوأ وهذا البلد غارق إلى الآن في الفتن ومن أسباب ذلك سوء الجوار وأطماعهم وسوء الحكم السابق وعدوانه على الجيران، ومن أسوإ ما ابتُلي به العرب حكم العسكر الذي يقوم على المغامرات والتهور وذلك يعطي فرصة سانحة للتدخل الأجنبي الذي لا يدخر وسعاً في إشعال الفتن بين الأشقاء والجيران لترويج تجارة الأسلحة وتشغيل معاملها في بلده.

لقد ندم كثير من المخلصين الذين ساندوا بعض الانقلابات بحسن نية عند ما شاهدوا نتائج حكم العسكر الذي ما تزال عواقبه السيئة تعمل عملها في بلدهم.

إن هذه الانقلابات كثير منها أسْدت خدمات كثيرة لتثبيت الحكم الصهيوني في فلسطين ذلك الحكم الذي ما تزال القوى العظمى التي تسانده تمزق البلاد العربية مثل السودان لإحاطته بضمانات الاستقرار والاستمرار وقد تكونت في هذه البلاد المتخلفة عقليات الدس والتآمر والتحريض على جيرانها وسادت ظاهرة قطع العلاقات وإغلاق الحدود وحرمان تزاور الأهل والجيران فيما بينهم إلا بشقّ الأنفس.

والعجب أن لغة الدس والتحريض على الجيران وإشعال الفتن فيها ما تزال بعض أصواتها ترتفع هنا وهناك، وكم كنا نود أن تتحقق بعض آمالنا وأحلامنا التي كنا نعيشها أيام الاستعمار بعد التحرر من قيوده وحكمه البغيض فإذا بالأمور تزداد سوءاً وتعقيداً بعد خروجه من بلادنا.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

روائع الكلام

الإمام ابن قيم الجوزية

النفس والرحى

وقد خلق الله سبحانه النفس، شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته.

فالأفكار والخواطر التي تجول فيها هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لابد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصى وتبناً ونحو ذلك.

فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه.

فأنت مرتبط بأفكارك وإن أردت تغيير نفسك فغير أفكارك أولاً.